فوّاز طرابلسي

عن أمل لا شفاء منه

يوميات حصار بيروت ١٩٨٢

طبعة جديدة ومنقحة



عن أمل
لا شفاء منه



فوّاز طرابلسي

عن أمل لا شفاء منه

يوميات حصار بيروت ١٩٨٢

طبعة جديدة ومنقحة



رياض الريّس للكتب والنشر
RIAD EL-RAYYES BOOKS

ABOUT AN INCURABLE HOPE

Beirut Siege Diaries

Summer 1982

By

Fawwaz Trabulsi

First Published in 1982
Second Edition in January 2007

BEIRUT- LEBANON
elrayyes@sodetel.net.lb . www.elrayyes-books.com
. www.elrayyesbooks.com

ISBN 9953-21-262-7

صورة الغلاف: نوال عبود

تصميم: محمد حمادة

الطبعة الأولى: تشرين الأول ١٩٨٢

الطبعة الثانية: كانون الثاني/يناير ٢٠٠٧

إلى جنى
وكُل أَطفال بيْروت



مقدمة الطبعة الثانية

كنت أُعِدُّ هذه اليوميات لطبعة ثانية عندما دهمتنا الحرب الإسرائيلية الأخيرة على لبنان (تموز/يوليو ــ آب/أغسطس ٢٠٠٦). لم يكن إصدار طبعة ثانية من «عن أمل لا شِفاء منه» لمجرد نفاد الطبعة الأولى بل كان أيضاً احتفالاً بمرور ٢٥ سنة على الغزو الإسرائيلي للبنان صيف ١٩٨٢.

بسبب عدوان صيف ٢٠٠٦، يكتسب نشر هذه اليوميات راهنية خاصة. وما من شك في أن القارئ سوف تغريه المقارنات بين التجربتين. وسوف يلقى في حرب ١٩٨٢ تكراراً لمشاهد ومواقع ومجازر شاهدها أو خبرها أو سمع عنها في صيف ٢٠٠٦. كأن الماضي يستبق الحاضر ويرهص به. لن أدخل في المقارنات. لكل حدث خصوصيته وإن يكن يجمع بينهما تصاعد العدوانية الإسرائيلية وضراوة المقاومة اللبنانية ونجاحها في إحباط أهداف العدوان.

هذا الكتاب مُهْدى للأطفال. كتبتُ فيه:

«على الحقد سوف ينمو أطفالنا... بفضل سياسة التمييز العنصري بين الأطفال. والتمييز العنصري ضد الأطفال أعلى مراحل العنصرية».

كيف لي، في صيف ١٩٨٢، أن أدري إلى أي مدى سوف يصحّ هذا القول على الأطفال في حرب ٢٠٠٦؟ صار أطفال حرب ١٩٨٢ صانعي انتصار العام ٢٠٠٠ وصاروا مقاتلي حرب العام ٢٠٠٦. وبلغ التمييز العنصري الأميركي ـ الإسرائيلي بين الأطفال ذروات غير مسبوقة. فلنُعِدْ قراءة تصريح جون بولتون، مندوب الولايات المتحدة الأميركية لدى الأمم المتحدة، حيث ينكر «المساواة الأخلاقية» بين قتل مدنيين لبنانيين وقتل مدنيين إسرائيليين. ولنتمعّن في حديث صحافي لضابط كبير في الطيران الحربي الإسرائيلي يقول فيه إن جنود لواء غولاني، لواء النخبة في الجيش الإسرائيلي، هم أطفال مثلهم مثل أطفال مجزرة قانا الثانية الذين دفنتهم قذائف طائراته تحت الأنقاض.

أما عن الحقد الذي نما عليه أطفالنا فأين منه الحقد الذي نما عليه أطفال إسرائيل. المشهد الوحيد الذي آمل أن لا يمحى من ذاكرتي، ولا يمحى من ذاكرة أطفالنا، هو مشهد الطفلات الإسرائيليات يكتبن عبارات التحية إلى أطفال لبنان على القذائف التي تتأهب المدفعية الإسرائيلية لقصفهم بها. من كان يتصوّر أن العنصرية الإسرائيلية سوف تصل إلى حد يتمنى فيه أطفال إسرائيليون قتل أطفال لبنانيين.

* * *

كتبتُ هذه اليوميات خلال حصار بيروت على دفتر أخضر ونشرتها دون أية إضافة أو تعديل، بعد ذلك، لتظل تعبيراً فورياً

ومباشراً عن الانفعال والتفكير. للأسباب ذاتها، لن أضيف ولن أعدّل أي شيء في نص هذه الطبعة الثانية، اللهم إلّا ما سقط من أخطاء طباعية ولغوية.

لكني أود التدقيق في روايتين تركتهما على علاتهما في النص. في رواية أولى، ألقيت الشك على دور إسرائيلي ما في اغتيال بشير الجميل. كان ذلك من الاحتمالات المتداولة حين الكتابة. وفي رواية ثانية، أتحدث عن «رفيق» لعدنان حلواني نفّذ عملية مقهى الويمبي الشهيرة التي سقط فيها أول قتلى للجيش الإسرائيلي في بيروت. عند كتابة تلك النبذة، كان رصد العمليات لدى مقاومي منظمة العمل الشيوعي قد سجّل شن هجوم مسلّح ضد ضباط وجنود إسرائيليين يرتادون مقهى الويمبي بين الأهداف المزمع تنفيذها. لهذا نسبتُ العملية إلى أحد «رفاق» عدنان اعتقاداً مني أن مقاومي المنظمة قد نفّذوا العملية كما وعدوا في تقاريرهم. الآن نعلم، طبعاً، أن العملية نفّذها المقاوم خالد علوان من الحزب السوري القومي الاجتماعي. وهي مناسبة لتصحيح ما ورد في النص وتوجيه تحية الإعجاب لذكرى خالد ولحزبه على تلك العملية البطولية التي لا ينتقص من اعتزازي بها أن رفيقاً من تنظيم آخر قد نفّذها.

في الطبعة الأولى، أهديت هذه الصفحات لابنتي جنى، التي حبسها الحصار خارج بيروت، ولكل أطفال بيروت. أما الطبعة الثانية، فحريّ بها أن تكون مهداة إلى جميع أطفال لبنان، مساهمة متواضعة في بث الأمل، الأمل الذي لا شفاء منه.

فواز طرابلسي

بيروت ـ أيلول/سبتمبر ٢٠٠٦



الثلثاء ٨ حزيران

اليوم الرابع للغزو.

مناحيم بيغن يوجه نداء إلى «شعوب العالم» يشرح فيه أحداث عملية «السلامة للجليل». يركّز على حق أطفال إسرائيل في الذهاب إلى المدارس بأمان أسوة بأطفال لندن وباريس ونيويورك.

السلامة لأطفال الجليل! ولأطفالنا، القنابل العنقودية والانشطارية والفوسفورية.

المدرسة لأطفال الجليل! واللُّعب المفخخة والأقلام المسمومة لأطفال لبنان وفلسطين.

تلك شريعة بيغن. وهي، حتى إشعار آخر، شريعة لندن وباريس

ونيويورك.

ولكن، على الحقد سينمو أطفالنا، من يخرج حياً من هذه المقتلة. على الحقد سينمون ضد بيغن وأطفاله وأطفال باريس ولندن ونيويورك المرفّهين. على الحقد سينمون، بفضل سياسة التمييز العنصري بين الأطفال. والتمييز العنصري ضد الأطفال أعلى مراحل العنصرية. أي أسفلها وأشدّها انحطاطاً!

على الحقد سينمو جيل من النساء والرجال يحمل ندوب بيروت ـ حزيران ١٩٨٢. ومهما طالت المعركة، سيعرف هذا الجيل كيف يبني حياة جديدة لا أثر فيها للتمييز بين الأطفال.

الخميس ١٠ حزيران

روفائيل إيتان يعلن أن قواته دخلت منطقة قوات الطوارىء الدولية بالقوة، وأن أوركهارت عرف بالغزو قبل بدئه بـ ٢٨ دقيقة. لكن ضابطاً فرنسياً في القوات الدولية يؤكد، على التلفزة الأميركية، أن هذه القوات تلقت تعليمات من نيويورك بعدم التعرّض للقوات الإسرائيلية.

العدو يعلن سقوط الدامور واستمرار تطهيرها، ويدعو سكانها المسيحيين إلى العودة. الأخبار عن صور متضاربة. ناطق بلسان جيش العدو: «القتال في صور من منزل إلى منزل ومن شارع إلى شارع. وقد أوقعنا بالفلسطينيين خسائر كبيرة جداً». وإذاعة تل أبيب تقول إن سعد الحداد سوف يضم الأراضي المحتلة حديثاً إلى «دولته».

* * *

«مثلث خلدة» لا يزال يقاوم

مساء الأمس، أحبطت القوات المشتركة محاولتي إنزال على الشاطىء ودمرت ثماني آليات وأسرت آليتين للعدو. الساحل الجنوبي يسهر على فرح الانتصار. الآلية المأسورة تتجول في شوارعه وأحيائه وحولها تنعقد حلقات الدبكة. ألوف البنادق تنتشر لحماية الساحل من خلدة حتى «النورماندي».

الكهل الستيني يقول هذا لأولاده: «الآن أستطيع أن أموت بسلام. شاهدت آلية إسرائيلية أسيرة في شوارع بيروت. هذا يكفيني. ما عدتُ أخجل من أني عربي!».

السبت ١٢ حزيران

حديقة الصنائع مخيّم جديد يؤوي المهجرين من منطقة المدينة الرياضية والفاكهاني. أُسَرٌ بأكملها تنام في العراء، أو في الخيم. أم ياسين تدلي بشهادتها: مع اشتداد القصف والدمار، خاف أطفالي وصاروا يصرخون: يا اللّه، إعمينا (بدل إحمينا!).

زلّة لسان مهداة إلى أطفال العالم.

خليل حاوي

«إنهم لن يقولوا: كانت الأزمنة رديئة

بل سيقولون: لماذا صمت الشعراء؟».

هكذا كتب برتولد بريشت العام ١٩٣٨، خلال الأيام السوداء التي أعقبت انتصار النازية في ألمانيا.

منذ أيام، أعلن خليل حاوي، بطريقته الخاصة، رفضه التزام الصمت. دوى صوته طلقة من بندقية صيد وجهها إلى رأسه. وحيداً في شقته برأس بيروت، أخذ شاعر «نهر الرماد» حياته بيده.

هكذا اختار خليل حاوي أن يسيطر على موته. هكذا اختار أن يقول انفجاره الغاضب الأخير على موت الأحلام الكبيرة لجيله، التي اغتالتها الأزمنة العربية الرديئة قبل أن تهرسها الدبابات الإسرائيلية الزاحفة على بيروت.

كان يذكّرك بـ «معلّم عمار» أو بقصّاب حجارة، ذاك الريفي الذي يبدو دوماً كأنه نازل لتوّه من ضهور الشوير. وكنتَ لا تنفك تدهش كيف لوجهه المنحوت من صخر، كيف لملامح الكبرياء، أن تظل ترشح بعسل الطيبة والحساسية المفرطة.

والشاعر أردى نفسه قتيلة بالسلاح المستخدم لقَتْل طيور الجبل. بالكاد اكترثنا لموته وسط هذه المذبحة. والصحف أوردت النبأ بأسطر مقتضبة.

أما خليل حاوي، فأراد موته تحقيقاً لشعره. مدَّ أضلعه جسراً في انتظار العابرين، «من كهوف الشرق، من مستنقع الشرق إلى الشرق الجديد». ورمانا بلعنته: أن نعمل على تحقيق العبور الكبير.

الثلثاء ١٥ حزيران

القوات الإسرائيلية تحاصر قصر بعبدا. والصامت القابع في القصر لم يعلن بعد موقفاً من غزو بلاده. بدلاً من ذلك، يشكّل هيئة سداسية للإنقاذ برئاسته وعضوية شفيق الوزان، فؤاد بطرس، بشير الجميل، وليد جنبلاط، نبيه بري ونصري المعلوف.

* * *

بيان سوفياتي يتهم إسرائيل بممارسة «عمل إبادة إجرامي ضد الفلسطينيين واللبنانيين» ضمن إطار «التعاون الستراتيجي الإسرائيلي ــ الأميركي». يعلن البيان أن مصير لبنان «كدولة مستقلة وموحدة» معرّض للخطر. وإذا يجدد الاتحاد السوفياتي دعمه للعرب، يوجه هذا «التحذير» لإسرائيل من أن الشرق الأوسط منطقة تقع بالقرب من الحدود الجنوبية للاتحاد السوفياتي، وأن الأحداث فيه لا بد أن تمسّ مصالح الاتحاد السوفياتي.

* * *

الحركة الوطنية ترى مقاومة الاحتلال «المهمة المركزية لكل الوطنيين اللبنانيين». بيان يدين التواطؤ الأميركي ويدعو سركيس إلى تحمل مسؤولياته ويعبّر عن المرارة تجاه «الصمت العربي عن العربدة الإسرائيلية فوق أرضنا»، والأسف العميق لوقوع المجتمع الدولي «أسيراً للقرار الأميركي» الداعم لإسرائيل بلا حدود.

الأحد ٢٠ حزيران

الاجتماع الأول لهيئة الإنقاذ. سركيس يرى أن اللقاء ــ وخاصة

لقاء وليد وبشير ــ هو اليوم الذي كان ينتظره منذ ست سنوات. يعرض الشروط التي نقلها فيليب حبيب عن الإسرائيليين. تعليق وليد جنبلاط: إذاً، المطلوب رأس المقاومة الفلسطينية.

بشير مستعجل لضرب الحديدة وهي حامية، وتثمير الاحتلال على صعيد التركيبة السياسية اللبنانية. يدعو المسلمين إلى أن «يلحّقوا حالهم»، وإلّا فلن يبقى سنّي واحد يشارك في الحكم.

«وليد لبشير: أنتَ مستفيد من الاحتلال الإسرائيلي.

بشير: كلنا يمكن أن يكون مستفيداً»...

ويتساءل وليد عن موضوع الانسحاب الإسرائيلي على جدول أعمال الهيئة، فيجيبه الوزان: «هذا تحصيل حاصل». «وهل الحكم محايد تجاه الاحتلال الإسرائيلي؟»، لمعة من فؤاد بطرس: «قدّمنا شكويَين إلى مجلس الأمن!».

النيّة متجهة لتشكيل لجنة مصغّرة للتفاوض مع أبو عمار. وليد جنبلاط غير متحمّس للمشاركة فيها.

الثلثاء ٢٢ حزيران

النازيون الجدد بالصوت والصورة.

ضابط إسرائيلي في بعبدا المحتلة لمراسل «التايمز» اللندنية: «يجب أن يموت الفلسطينيون. إنهم وباء». ويسأله الصحافي البريطاني إذا كان حديثه عن الفلسطينيين يشبه حديث هتلر عن اليهود، فلا

يتردد في الإجابة: «نعم. إنه يشبهه!».

وفي بعبدا أيضاً، إنذارات الـ ٤٨ ساعة تتوالى على هيئة الإنقاذ المجتمعة بحضور فيليب حبيب. يعلّق الاجتماع بانتظار ترتيب وقف جديد لإطلاق النار. الخامسة بعد الظهر تغير الطائرات الإسرائيلية على بيروت في قصف متفرّق وكثيف. الإعلان عن وقف جديد لإطلاق النار في السادسة مساء، تخرقه الطائرات الإسرائيلية في قصف مركّز على الحمام العسكري والساحل ومحيط المطار والمدينة الرياضية.

انفجار سيارة في «شارع الوحدة الوطنية» في منطقة فردان. حادثة لها دلالة الرمز. لكنه رمز ينثر الجثث.

يا لهذا الوطن المفخّخ.

* * *

ثلث ساعة بعد منتصف الليل: الهدوء يخيّم على بيروت. وحده طبل المسحراتي يخرق اتفاق وقف إطلاق النار.

الأربعاء ٢٣ حزيران

اليوم التاسع عشر

وزير الخارجية الكوبي ــ ماليركا ــ في بيروت الغربية المحاصرة، يلتقي القيادات الوطنية اللبنانية والفلسطينية. تقدير كبير للمبادرة الكوبية، فعلى الأقل هذا أول رسمي عربي أو

أجنبي يجازف بحياته لينقل إلينا تضامن شعبه وثورته. خلال اللقاء، الكل يركز على أهمية الموقف السوفياتي الرادع للعربدة الأميركية ــ الإسرائيلية. ماليركا يقول إن فيديل كاسترو طلب ترتيب زيارة سريعة له إلى موسكو للحث على موقف حاسم.

محسن إبراهيم: أنتم الكوبيين تستطيعون أن تفهمونا. لقد انتصرت الثورة الكوبية لأن شعبكم شجاع. إن شعبنا ليس أقل شجاعة من شعبكم. لكن ثورتكم لم تتوطد إلّا عندما أطلق الاتحاد السوفياتي إنذاره النووي.

جورج حاوي: كيف لنا أن نتحدث بثقة بعد الآن عن «سمة العصر» بصفته عصر انهيار الإمبريالية؟ ألا يستحق كل ما جرى عقد اجتماع طارىء لقيادة حلف وارسو؟ ألا يستحق كل ما جرى إنذاراً سوفياتياً شديد اللهجة؟

كأنما للتأكيد على راهنية هذه الأحاديث، القصف يطاول اليوم السفارة السوفياتية. لعله الردّ الإسرائيلي على تصريح ليونيد بريجنيف يوم أمس الذي أدان فيه «الهجوم الهمجي الإسرائيلي على بيروت»!

* * *

مراسل «الغارديان» البريطانية يكتب أن القصف الإسرائيلي لصيدا وصور أدى إلى وقوع «ما يشبه المجزرة» سقط خلالها ألوف اللبنانيين والفلسطينيين بين قتيل وجريح.

الجمعة ٢٥ حزيران

بيروت تتعرّض لأعنف قصف بري وبحري وجوي خلال ساعات.
صالح يهتف من الساحل الجنوبي: إنه جحيم دانتي!

اللقاء بين هيئة الإنقاذ وأبو عمار لم يتم. وليد جنبلاط طالب بوقفٍ لإطلاق النار في الواحدة ظهراً ولم يُستجَب لطلبه. فاستدعى الصحافيين وأعلن استقالته من هيئة الإنقاذ بعد أن تحولت إلى «الجنة لدفن الموتى». وقال إنه يرفض تحمل «مسؤولية إطلاق رصاصة الرحمة على الفلسطينيين». اتهم سركيس وبطرس والوزان بالضلوع في المؤامرة لأنهم يرفضون إدانة الغزو والاحتلال. وأكد أنه باقٍ في بيروت «مع الفقراء الذين لا يملكون إلّا قميصاً لكنهم سيواجهون الموت بشجاعة وشرف وبإباء وكرامة».

ذكّرنا وليد بوقفات أبيه التاريخية. قال: «ليحكم التاريخ. وإذا ظن بعض العرب أنه سيتفادى اللعنة التاريخية فإنه مخطىء. إن الدماء الفلسطينية في لبنان لن تذهب هدراً. ستهتز عروش وتسقط. وستهتز أنظمة وتسقط. وسيعمّ العالم العربي بحر من الدماء، إن شاء الله، إن شاء الله، إن شاء الله. وسينتصر الشعب الفلسطيني. أما الشعب اللبناني الفقير في صيدا وفي صور وفي بيروت فسينتقم أيضاً. سينتقم من حكّامه، من نظامه، أياً كانت ظروف الاحتلال أو مهما كان المشروع السياسي المتبلور لاحقاً قاسياً. لأني أعتقد أن بشير الجميّل يريد من وراء هذه المجزرة أن يتوصل إلى رئاسة الجمهورية. وأنا لن أكون شريكاً في هذه المؤامرة القذرة».

وعن الشروط المفروضة على «م.تَ.ف.» قال: «إنهم لا يريدون للفلسطينيين الاستسلام الشريف. يريدون قتلهم فقط وقتل اللبنانيين

معهم». وتمنى هذه الأُمنية: «ستكون هناك منظمة تحرير فلسطينية جديدة في المستقبل أكثر راديكالية وأكثر تطرفاً وأكثر ــ فلنقل بين مزدوجين ــ إرهابية. وأنا أرغب في أن تصبح منظمة التحرير الفلسطينية إرهابية أولاً ضد الحكّام العرب وثانياً ضد إسرائيل... يجب أن نواجه الإرهاب العالمي، الإرهاب الأميركي والإرهاب الإسرائيلي بإرهاب فلسطيني ولبناني».

وسئل عن وساطات السعودية وضغوطها، فأجاب: «السعودية، أي نكتة هي هذه؟». وعن موقف الأصدقاء: «إسألوا الأصدقاء. نحن ليس عندنا أصدقاء. عندنا أنفسنا. وكفى».

نبيه بري يجمّد عضويته في هيئة الإنقاذ. الوزيران حمادة وجنبلاط يستقيلان من الوزارة. وشفيق الوزان يضع استقالته بتصرّف رئيس الجمهورية بعد اتصال هاتفي من وَليد جنبلاط قال له فيه: أنت الآن مثل وصفي التل...

* * *

الحركة الوطنية تدعو إلى مؤتمر وطني يجسّد شرعية المقاومة الوطنية للاحتلال الإسرائيلي بكل الوسائل وإلى قيام جبهة وطنية تعمل من أجل الانسحاب الإسرائيلي الكامل غير المشروط. ويعلن البيان الصادر باسمها أن الصمت الرسمي وصل حدّ التواطؤ، ويحذر الذي سينزلق إلى توقيع صك الاستسلام «لأنه ستمحوه فوراً الإرادة الوطنية الجماعية المستعصية على الكسر».

* * *

استكملت القوات الإسرائيلية سيطرتها على طريق الشام من بعبدا إلى بحمدون. شارون يثني على المشاركة الكتائبية في القتال، ويرى أن السيطرة على طريق الشام تعني السيطرة على لبنان كله. حزب الكتائب ينفي الاشتراك في القتال ويقول إن كل ما قامت به قواته هو ملء الفراغ الذي تركه انسحاب القوات السورية على طريق الشام.

لليوم الثالث، معارك عنيفة بين الدبابات الإسرائيلية والسورية في المنصورية ــ بحمدون الضيعة. الإسرائيليون العاجزون عن استخدام الطيران، يلجأون إلى غاز الأعصاب المحرّم دولياً.

* * *

دعوة إلى اجتماع طارىء لوزراء الخارجية العرب غداً في تونس.

رونالد ريغان يعلن، بلا تعليق، استقالة وزير خارجيته ألكسندر هيغ. يبدو أن الأسباب مرتبطة بالخلافات على السياسة الخارجية. إسرائيل تبدي أسفها وتمتدح هيغ كحليف للدولة العبرية. جورج شولتز المرشح لخلافة هيغ وزير سابق للخزانة أيام نيكسون، معروف بصلاته بالمصالح الأميركية في السعودية والخليج، الأمر يفسح في المجال أمام التكهنات والمراهنات على تعديل ما في سياسة الإدارة الأميركية...

ولكن، من قال إن ثمة تعارضاً بين الولاء للنفط وبين الولاء لإسرائيل؟

* * *

العنوان الرئيسي لـ «بيروت المساء»: «الوطن باقٍ والاحتلال إلى زوال!».

السبت ٢٦ حزيران

فجراً، الولايات المتحدة تستخدم حق النقض في مجلس الأمن ضد مشروع قرار فرنسي بفصل القوات حول بيروت.

مجازر من جرّاء القصف الإسرائيلي يوم أمس. ملجأ في برج البراجنة ينهار على من فيه. أكثرية الضحايا من الشيوخ والنساء والأطفال. مأوى العجزة (٨٠٠ مريض و٢٥٠ ممرضاً) أصيب بـ ١٢ قذيفة. بينها قذائف فوسفورية. عشرات القتلى والجرحى.

الأحد ٢٧ حزيران

حصيلة القصف خلال الأيام الثلاثة الأخيرة ٢٠٩ قتلى.

ظهراً، الطائرات الإسرائيلية تمطر بيروت بمناشير تدعو السكان إلى مغادرة العاصمة حفاظاً على سلامتهم.

الذعر ... ألوف السيارات المكتظة تتجه نحو بيروت الشرقية.

الصامت القابع في قصر بعبدا يخرج عن صمته ليوجّه نداء إلى الملوك والرؤساء في العالم. لأول مرة منذ ٦ حزيران/ يونيو يأتي على ذكر «الاجتياح الإسرائيلي»، ويدعو إلى إنقاذ بيروت من «الكارثة المحققة».

لا رد فعل في واشنطن. الإدارة الأميركية تقضي عطلة «الويك إند»..

والقتلى يستطيعون الانتظار..

الاثنين ٢٨ حزيران

وزراء الخارجية العرب يناقشون أربع «أوراق عمل» متضاربة. ولا نتيجة. وفؤاد محيي الدين، نائب رئيس الجمهورية المصري، يبلغ السفير الأميركي «انزعاج» حكومته مما يجري في لبنان.

يوسف إبراهيم يزبك

يوم الجمعة في ٢٥ حزيران/ يونيو توفي المؤرخ الكبير يوسف إبراهيم يزبك عن ٨٢ عاماً. وكانت أزمة قلبية حادة قد أقعدته في الفراش خلال الأسابيع الأخيرة.

أتمنى لو أنه أغمض عينيه للمرة الأخيرة دون أن يدري أن إسرائيل قد غزت البلد وحاصرت بيروت. فقد كان يصعب على يوسف إبراهيم يزبك أن يصدق أن مسيحياً لبنانياً يمكنه أن يتعاون مع إسرائيل، فكيف باستدراجها إلى غزو بلاده. كان يحتج علينا لاستخدام مصطلح «الانعزالية»، وهو الفخور ــ إلى حدّ التعامي ــ بمساهمة المثقفين المسيحيين اللبنانيين في بعث القومية العربية وفي نهضة اللغة والثقافة العربيتين (وكنا نجيبه: ليت الجميع مثلك، يا أبو إبراهيم). وما عدا هؤلاء فهم الاستثناء الذي يثبت القاعدة.

وكان يوسف إبراهيم يزبك في موقع الطليعة من جيل المثقفين المسيحيين اللبنانيين الملتزمين بالعروبة والديموقراطية والتقدم. تفتّح وعيه على العالم إبان مآسي الحرب والمجاعة ومطلع الانتداب على لبنان. فرأى في انتصار ثورة تشرين/ أكتوبر الاشتراكية البشارة بميلاد شرق جديد. فإذا به «الشبح الباكي» على الاستعمار الأجنبي والظلم الاجتماعي ينذر نفسه لإعلان تلك البشارة، على صفحات «زحلة الفتاة» و«الإنسانية».

مثقف وطني من أبناء حدث بيروت، ربط مصيره بالطبقة العاملة، وقائد لعمال التبغ في بكفيا «طرد حديثاً» من مصر لدوره المجيد في حركة احتلال المصانع: البشارة ومادتها البشرية. يوسف إبراهيم يزبك وفؤاد الشمالي يؤسسان الحركة الشيوعية اللبنانية...

ويعرف يوسف إبراهيم يزبك السجن والمنافي. ولما انصرف أخيراً إلى خدمة تلك البشارة بالكتابة والتأريخ، كان دأبه التعريف بكل ما هو شعبي وعربي وديموقراطي وتقدمي في تاريخ لبنان وثقافته. عن طريقه تعرّفنا إلى عامية كسروان ١٨٥٨ وعلى بطلها طانيوس شاهين، وعن وقائع الاحتفال الأول بعيد العمال. وكانت مجلته «أوراق لبنانية» سجلاً لجهد فردي استثنائي في نبش التاريخ الشعبي اللبناني. ومن أبرز كتاباته السياسية: «النفط مستعبد الشعوب». العنوان برنامج في حد ذاته.

تعرفتُ إلى يوسف إبراهيم يزبك عشية الحرب في منزل صديق مشترك. تحدثنا عن عيسى إسكندر المعلوف وعن مخطوطاته الثمينة ولماذا لم تجد بعد طريقها إلى النشر. تداولنا الأوضاع السياسية الراهنة والتوقعات. ونحن أمطرنا يوسف إبراهيم يزبك بوابل من

الأسئلة عن السنوات التأسيسية الأولى للحركة العمالية والشيوعية اللبنانية: عن شخصية فؤاد الشمالي، ودور المستشارين الأجانب في تأسيس الحزب الشيوعي اللبناني. وعن الخلافات التي أدت أخيراً إلى انفصاله وفؤاد الشمالي عن الحزب... ويوسف إبراهيم يزبك أغوانا بالتفاتته التي تشع فرحاً وفطنة وذكاء. بحبه للحياة وبكميات العرق البيتي المثلث التي شرب. وأدهشنا بذاكرته العجيبة. لكنه لم يروِ غليلنا إلى كشف أسرار الخطوات الأولى للحركة الشيوعية والعمالية اللبنانية.

في اللقاء الثاني، في منزلي، كان قد تبلور مشروع مشترك: سلسلة مقالات يكتبها أبو إبراهيم لـ «بيروت المساء» تقول كل شيء عن تلك الفترة. هو عاهدنا على أن يقول كل ما يعرفه. ونحن تعهدنا بالنشر بلا رقابة. وغادَرَنا إلى الشطر الثاني من العاصمة على أمل أن يعود إلينا وهو في طريق السفر إلى «منفاه» في باريس.

لكن يوسف إبراهيم يزبك اضطر إلى أن يخلف بالوعد... أغمض عينيه وتوقف قلبه الكبير، دون أن تتاح له الفرصة لرواية وقائع تلك الأيام التي ظلّت هي الأغلى على نفسه.

بالأمس خليل حاوي. واليوم يوسف إبراهيم يزبك. في أقل من شهر، غادرنا اثنان من أبناء هذا السرب من الطيور النادرة وقد باتت مهددة بالانقراض. في زمن الطوائف الإسرائيلي، نخاف على القاعدة أن يغتالها الاستثناء.

والآن، ليس يحضرني إلّا أن أقول: كاسك، يا أبو إبراهيم!

الأربعاء ٣٠ حزيران

مناحيم بيغن يرفض إعطاء أي تعهد بعدم اجتياح بيروت. ويكرّر دعوته للمدنيين إلى مغادرتها. آرييل شارون يتحدث عن مثلث للسلام مصري ــ إسرائيلي ــ لبناني.

القمة الأوروبية تدين الغزو بشدة وتدعو إلى انسحاب فوري للقوات الإسرائيلية من حول العاصمة على أن يرافقه انسحاب فلسطيني من بيروت الغربية. ويشدِّد البيان على ضرورة المحافظة على وقف إطلاق النار بأي ثمن.

من أخبار بيروت الشرقية والجبل أن الجندي الإسرائيلي عندما تُلقى عليه تحية «شالوم» ينزعج ويزجر صاحب التحية. وهو يدري أنه ليس على أرضنا من أجل السلام. وأنت، يا أخي، بعدُ لا تدري؟!

الخميس اول من تموز

عجيب أمرها، حروبنا النظامية. ما إن تبدأ حتى تكون قد انتهت. ضربنا الرقم القياسي العالمي في قِصَر الحروب العربية ــ الإسرائيلية. نخوضها كالحروب القبلية أيام زمان. نخطط سلفاً للمصالحة التي ستلي. حروبنا، حروب تنظيم وقف إطلاق النار والمفاوضات، تحمل هزيمتها في صلبها. وفي المقابل، أقلية طاغية تخوض حروبها بمنطق الحرب ــ تحقيق الانتصار والتفوّق وسحق العدو. فإسرائيل تتحرك وفق المنطق البديهي: تنتصر أو تُباد. ليس بوسعها أن تخسر حرباً واحدة. تحارب وفق قاعدة عِلم المتفجرات: الخطأ الأول هو الخطأ الأخير.

والحرب المحكومة سلفاً بالمصالحة تفرّط بكل الأفضليات وعناصر التفوق. ولأنها محدودة سلفاً من الناحية الزمنية، تقع في فخ الحروب الإقليمية المحدودة التي تديرها أميركا، وتلعب دوماً لغير صالحنا.

والحرب المحكومة سلفاً بالمصالحة لا تستطيع استخدام العمق الجغرافي (عنصر التفوق الآخر الذي يملكه العرب). تخوضها أنظمة تخاف على عواصمها لأنها مراكز السلطة، فإذا بها تتحاشى استدراج العدو إلى العمق العربي، لإطالة خطوط تموينه واستنزافه.

والحرب المحكومة بالمصالحة ترفض استخدام عنصر التفوق العددي، المخزون القتالي الثمين الجبار الذي نملكه ولا تملكه إسرائيل. إذ ليس مؤكداً أن خوف هذه الأنظمة من إسرائيل أكبر من خوفها من جماهيرها.

الحداثة والتكنولوجيا؟ تبقى مرهونة بكل البنية الاجتماعية التي تحضنها وتحفزها. وتبقى قصة جيوشنا مع التكنولوجيا مثل قصة الغراب الذي أراد تقليد مشية الحجل. نسي مشيته الأصلية (أفضليات العدد والعمق الجغرافي والزمن) ولم يفلح بعد في تقليد نقلة الحجل التكنولوجية.

وليس هذا مبحثاً في العلم العسكري العربي، وإنما مجرد إلقاء ضوء، ولو سلباً، على بعض مميزات الحرب التي نخوض، أقرب مقاربة إلى الآن لحرب شعبية عربية. ولكن بأي ظرف وأية إمكانات!

ويبقى القرار هو الأساسي، وأثمن الدروس هي المستمدّة من الثقافة

الشعبية. في مسرحية فيروز والرحابنة «جبال الصوان»، تعلن البطلة «غربة»:

ــ اللي بيحاربوا من برّا بيضلّوا برّا

المصدر جُوّا

ــ لأنو قرّر يموت هوّن النِذْر

نقرّر نموت أولاً.

اللي ماشيين صوب الموت

بيغلبو!

تحية للذين «مصدرهم جوّا».. للماشين صوب الموت لأنهم لا بد منتصرون!

السبت ٣ تموز

يوري أفنيري في بيروت الغربية لإجراء مقابلة صحافية مع أبو عمار. رئيس تحرير «هاعولام هازيه» الإسرائيلية يتحدث عن الصدمة الكبرى داخل إسرائيل بعد اكتشاف الشعب الفلسطيني المقاتل. جواباً على السؤال الأكثر إلحاحاً الآن ــ يدخلون إلى بيروت أو لا يدخلون؟ ــ يقول أفنيري إن التردد كبير في تل أبيب حول هذا الأمر لسببين: للخسائر الكبيرة المتوقعة (تقديرات آرييل شارون أن الجيش الإسرائيلي سيدفع ٦٠٠ قتيل من جنوده على

الأقل ثمناً لاحتلال بيروت) وأيضاً للشعور بأن تصفية منظمة التحرير الفلسطينية لن يصفّي القضية الفلسطينية.

تقدير على مسؤولية صاحبه. ومن يعشْ يرَ.

وسأل أفنيري أبو عمار: إلى أين أنت ذاهب بعد بيروت؟ فأجابه ببساطة: ... إلى فلسطين! أنت عائد هذا المساء إلى تل أبيب. فمن قال لك أنت أحق مني بفلسطين؟ فانكتم أفنيري.

وألحّ الصحافي الإسرائيلي على سؤال آخر: أنتم متهمون بالرغبة في رمي اليهود في البحر، فما جوابك؟

في انتظار قراءة حرفية جواب رئيس «م.ت.ف.» لا شك في أن السؤال ينطوي على قدر لا بأس به من الصفاقة، وإن يكن في مقدور أفنيري أن يزعم أن ناقل الكفر ليس بكافر. لكنه كفر، مع ذلك. الشعب الفلسطيني يُرمى جثثاً إلى الصحراء، والصحراء العربية تبحث هل تستقبل بقاياه أم لا وهو المتَّهم بالعنصرية. وياسر عرفات يجري الاتصالات لاستئجار جزيرة يونانية ينقل إليها المقاتلين. وهو المطالَب بتبرئة نفسه من النية في رمي اليهود في البحر.

* * *

تعساً لك، أيها العربي الشقي!

لأجيال عليك أن تدفع من دمك ثمن تصريح واحد لأحد زعمائك وقد قرّر أن يتمرجل. وليس مَنْ يحاسب على المجازر

المرتكبة بحقك.

أنتَ الذي تنشر العنصرية لحمك من رِمال سيناء إلى جدران بيروت، وأنت أنت المتهم بالعنصرية.

أنت الجنس المُباد. وأنتَ المتهم بإبادة الأجناس.

ومهما حاولتَ، ستبقى جزّار النوايا، ولو أضحيتَ أشلاء مجزرة.

ومن يصدّق أنك الضحية؟ من يصدق؟ من؟

* * *

وتتلفّت غرباً..

حكّامك، بائعو الأوطان، سماسرة العلاقات العامة، خبراء الإِعلام وتسويق القضايا، مستطلعو الرأي العام، كلهم يقولون لك إن الغرب مضلل وتائه عن مصالحه الحقيقية..

وتصدّق ...

أربعين، خمسين عاماً وأنتَ تصدق.

ويقولون لك: تشبّه بالغرب، يتفهّمك ويوالك.

وتتشبّه، أيها الشقي، كم تتشبّه!

وتجرّبها كلها: العرائض والبلوجينز.

الوفود وأفلام الفيديو.

المقررات الدولية ومستحضرات التجميل.

حقوق الإنسان وحقائب السمسونايت.

لياقات البداوة والياقات المنشّاة.

الكوكاكولا وكوي الشعر.

اللوبي ولولب منع الحَمل.

معامل تحلية المياه ومرارة الخذلان.

تجرّبها كلها: تتكلم لغاتهم بلا لكنة، فيقولون لك: عُدْ إلى البداوة.

وتفتح لهم مكاتب الإعلام والعلاقات العامة، فيفتحون لك مرابع القمار وبيوت الدعارة.

فمهما فعلتَ، تبقى متأخراً عن زمانهم.

وتبقى اللعنة تطاردك. حلال للفرنسي أن يمارس العنصرية ضد الألماني، أن يعدّ الصلح معه خيانة. أن يبتكر كل مفردات التحقير في لغته لنعته. أن يدغم بين نازي وألماني. والعكس بالعكس. أما أنت فزلّة لسان واحدة عن اليهود وتُصاب بإبادة الأجناس!

وخجلاً، اعتذاراً أو يأساً! ترفع سلاحك. فإذاً أنتَ الإرهاب الدولي.

سِكِّين العِبري في بطنك. وأنت الجلاد.

هم ذبحوا ستة ملايين يهودي ورموا ببقاياهم في بحرك وبلدِك. وأنت أنت المتهم برمي اليهود في البحر.

تعساً لك، أيها الشقيّ.

حروبك دوماً عدوانية ـ إبادية ـ قذرة، وتنهزم. وحروبهم دوماً دفاعية ـ إنسانية ـ نظيفة. وينتصرون.

ويأتي من يقول لك: بادِلْ نفطك بِعَدْلِنا. وتصدّق. وتسلّم نفطك.

فيأخذون نفطك ويقولون لك: اعتدِلْ. وتعتدِل.

ويأخذون اعتدالك ويقولون لك: إعترف، اعترف بعدوك تَنَلْ حقوقك. وتكاد أن تصدق. وأشدهم تطرفاً يجد لك الفتاوى: الاعتراف المتبادل. وتعلن استعدادك للمبادلة.

فيأخذون استعدادك ويقولون لك: الآن اعترفْ أولاً. وعدوُّك يرفض الاعتراف بانتمائك إلى الجنس البشري!

لا تصدق، أيها الشقي.

يا ضحية بساطتك ونفطِك.

لا تصدق.

إنهم لا يريدون غير قهرك ونفطك!

لا تتشبّه.

شُبّه لك، ليس إلّا. وما أنتَ عندهم إلّا المشبوه الدائم.

يا أعجب المخلوقات!

أيها الضحية المتّهمة والجثة المجرِمة.

لمرة واحدة لا تصدّق.

خُذْ قضيتك بيدك. لمرة واحدة، اعتمِدْ على نفسك وسلاحك.

قاوِمْ. ولو من أجل انتزاع الاعتراف بحقك في أن تكون الضحية، مجرد الضحية.

ثم نرى بالنسبة لباقي مظالمك ومطالبك وأهدافك.

وتتلفّت شرقاً..

تقرأ في كتب التاريخ عن ملاحم النضال ضد «الغزاة الألمان».. وتحلم بـ «الحرب الوطنية الكبرى» ضد النازيين الجدد. فتُصاب بإيديولوجيا السلام العالمي.

وتقرأ في الأدبيات أن الصديق عند الضيق. وهل أضيق من هذا الحصار؟ وتتساءل: وأين هم الأصدقاء؟ وببراءة الشيوعيين القدامى في مسرحية «الرفيق سجعان»، يتراءى لك هذا المشهد: حوار بين بريجنيف وريغان. والأول يقول للثاني: هؤلاء بيت أبو دمعة جماعتي. إرفع عنهم حصارك وحربك. ويمتثل ريغان.

وتتساءل لماذا هذا الإنذار لا يكون أعنف لهجة؟ وتتذكر إنذارات خروتشوف أيام حرب السويس. فيقال لك إن الأحوال تغيَّرت. ويقال لك إن الصديق الأكبر أكثر إحاطة منك بتعقيدات الوضع الدولي. ويُقال لك أنت ترى العالم كله من خرم إبرة الحصار. ويقال لك.. ويقال لك....

وتبتهج عندما تسمع أن بارجات حربية للصديق الأكبر توجهت نحو مرفأ اللاذقية. وتتساءل: ولماذا لا تستطيع بارجة واحدة، أو باخرة أدوية واحدة، أن تخترق هذا الحصار؟ فيقال لك: كبّر عقلك، يا شيخ. والذين من بني قومك ما اعترفوا مرة بشرعية، يبتكرون شروحات مستفيضة: هذه مياه إقليمية لبنانية. والحكومة اللبنانية لم تطلب تدخل الصديق الأكبر لفك الحصار! وتتساءل: ولكن، هل طلبت إسرائيل إذناً من الحكومة اللبنانية لتغزو البلد وتفرض الحصار؟!

وإذا أنت أصررت على عنادك الساذج، يقوم بعض من بني قومك ومن بني يسارك ليرميك بهذه التهمة: وماذا تريد؟ إشعال حرب عالمية ثالثة؟

وأنت خطير وقابل للاشتعال إلى هذا الحد ولستَ تدري.

أيها المصدّق قصص التضامن الأممي، أأنتَ العاشق الأممي الوحيد لتُلقى تبعات كل هذا الهوى على كتفيك؟ أأنتَ وحدك حامل صليب السلام العالمي ولو عليه صُلبت؟ والأممية قد تكون أحياناً المصلحة القومية لبلاد الآخرين. فلماذا الأممية عندك يريدونها دوماً مصلحة سواك؟!

ومع ذلك، فأنتَ في بساطتك وعنادك تظل متشبثاً كالغبي بمرضِك العضال: أملَك: .. وقصص التضامن الأممي.

الأحد ٤ تموز

١٠٠ ألف متظاهر في تل أبيب ضد الحرب في لبنان يطالبون باستقالة بيغن وشارون. إسرائيل تشن عليك الحرب وإسرائيل تتظاهر ضد حربها. والإسرائيلي يقتلك والإسرائيلي هو الذي يمشي في جنازتك. وتكاد أن تعجب بديموقراطية عدوك...

والعرب صامتون...

أقسى من الحصار.

أوجع من صراخ الأطفال ومن أنين الجرحى.

أفظع من مناظر الجثث والدمار.

وأقتلُ من قصف القنابل... وأعلى دويّاً، هذا الصمت العربي،

وإذا نطق، فكفراً: رسالة من حاكم عربي يحثّ فيها المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية على «الانتحار ولا العار».

الانتحار؟ شارفناه. أما العار، فعليكم جميعاً!

وكفى تخريفاً عن مسؤولية الحكام والأنظمة! أين هي حركة التحرر الوطني العربية وأزمتها المدللة؟ والسؤال الكبير: لماذا لا تتحرك الجماهير العربية؟؟!

الأربعاء ٧ تموز

الكتائبيون لا يكتمون «عواطفهم الأخوية» تجاه أهالي بيروت الغربية!

ضابط كتائبي إلى مراسل «لو ماتان» الفرنسية: «بعد انسحاب منظمة التحرير الفلسطينية من بيروت، الجيش اللبناني هو الذي سيدخل المدينة. لكننا سندخل في أعقابه، وسيكون هناك إفراط في التجاوزات من قبل القواعد والقيادات المتوسطة، لأنه توجد بيننا تسوية حسابات دم. سوف نتجنّب حمّام دم. ولكننا لن نستطيع منع انفجار الحقد، مع أنه سيكون قصيراً ومحدود النطاق».

* * *

وليد جنبلاط للقابعين في قصر بعبدا: «تذكروا حكم التاريخ»! «لا بد أن يخرج واحد من هذا المعسكر الاعتقالي الكبير، من بيروت الغربية، ويحاسب في يوم ما على هذا الموقف المتردد والمتفرّج، وبيروت تغرق يومياً في بحر من الدماء. فلا كلمة لمؤاساة اللبنانيين في صور وصيدا وبيروت. ولا موقف وطنياً فيه «الحد الأدنى من الصدق والكرامة الوطنية».

الخميس ٨ تموز

ماذا يعدُّون لهذا الوطن؟

في «الموند ديبلوماتيك» (عدد تموز/ يوليو ١٩٨٢) الصحافي الإسرائيلي آمون كابليوك يكشف مشروع «نظام إقليمي جديد»

للمنطقة تحت المظلة الأميركية، وفي خدمة استراتيجية «التدخل السريع». والمشروع حمله آرييل شارون في زيارته السرية إلى واشنطن تمهيداً لغزو لبنان. وهو يشتمل على بندين رئيسيين:

١ ـــ إسداء ضربة شاملة وحاسمة لسورية (على افتراض أن الغزو نفسه يكون قد قضى على منظمة التحرير الفلسطينية).

٢ ـــ خريطة جديدة للمنطقة تحوي هذه التغييرات: «لبنان مسيحي، ضفة غربية إسرائيلية، وأردن فلسطيني».

خلاصة رأي كابليوك بشأن مصير لبنان: خيار دعم الدولة المركزية اللبنانية القوية لم يعد الخيار الوحيد لدى الإدارة الأميركية.

* * *

الصحافة الأجنبية تكتشف معسكر الاعتقال الإسرائيلي الكبير في بلدة أنصار بقضاء النبطية. وقوات الاحتلال بدأت بفرض تشكيل «حرس وطني» في عدد من القرى الجنوبية.

* * *

ليونيد بريجنيف في رسالة جديدة إلى ريغان، يحمّله شخصياً مسؤولية وقف الإبادة في لبنان والهمجية الإسرائيلية ضد بيروت: «لن نقف مكتوفي اليدين أمام نداء الأطفال والنساء في لبنان».

ريغان ـــ سمعان بالضيعة.

وإذاعة الكتائب ترجّح الحل العسكري.

الجمعة ٩ تموز

أنباء تفيد أن إسرائيل طلبت من «القوات اللبنانية» ممارسة قضم عسكري تدريجي لبيروت، وأن بشير الجميل لم يعطِ جوابه بعد.

في الانتظار، «القوات اللبنانية» تحتل ثكنة بيت الدين وتطرد وحدة الجيش الشرعي منها. الأمير بشير في عاصمته!

مخطط للأجهزة يقضي بالإطباق على بيروت فور خروج مقاتلي «م.ت.ف». اليوم الأول: إعلان حالة الطوارىء والتعبئة العامة. مهلة بين اليوم الثالث واليوم السابع لتسليم الأسلحة. ثم تبدأ المداهمات. وتقول المعلومات إنه ليس للقوات المتعددة الجنسيات أي دور أمني في بيروت، بل ستكون مجرد قوات للفصل بين الجيش اللبناني والجيش الإسرائيلي.

وظيفة التعبئة العامة دمج الميليشات بالجيش.

الأحد ١١ تموز

يوم آخر من الدمار والحرائق.

٨٠٠٠ قذيفة تساقطت على بيروت والضاحية على مدى ١٦ ساعة كاملة. في بعض الساعات، كان القصف بمعدل ٣٠ قذيفة في الدقيقة الواحدة، حسب تقديرات المراقبين. ردّ مدفعي وصاروخي عنيف على مواقع العدو. وقتال عنيف على المحاور. تدمير ٦ دبابات و٥ حاملات جنود و١٣ شاحنة وإيقاع ١١ قتيلاً

و٢٩ جريحاً في صفوف العدو. التقدير الأولي لخسائرنا: ٧٠ قتيلاً و١٨٠ جريحاً.

ومع ذلك، فإن القوات الإسرائيلية لم تتقدم شبراً واحداً على الأرض!

التاسعة مساء، فيليب حبيب يعلن وقف إطلاق النار السادس.

* * *

ماذا يعدّون لهذا الوطن؟

يوم ٥ تموز/ يوليو، عُقدت في نيويورك ندوة أكاديمية ضمّت أحد مساعدي بيغن للشؤون الدينية وإختصاصيين أميركيين وإسرائيليين في شؤون الشرق الأوسط. ناقشت الندوة احتمالات تفتيت لبنان مذهبياً وتوليد قيادات درزية بديلة عن القيادات الحالية ترتضي التعاون مع إسرائيل. اقتراح «بإعادة اليزبكية إلى قيادة الطائفة الدرزية في مواجهة الجنبلاطية» والنائب الدرزي السابق في الكنيست الإسرائيلي، جابر المعدّي، يطالب مناحيم بيغن بإقامة دولة درزية تضم دروز لبنان والجولان.

الاثنين ١٢ تموز

حملة إسرائيلية وصهيونية عنيفة على الرئيس الفرنسي لأنه ي شبّه بيروت المحاصرة بأورادور الفرنسية والمجزرة النازية بحق أهلها.

أخيراً، هناك من بدأ يكتشف أنه يمكن لأناس أن يكونوا الضحايا في أوروبا والجلادين في العالم العربي.

الجمعة ٢٣ تموز

عرض فلسطيني بفصل للقوات مسافة خمسة كيلومترات عن بيروت تمهيداً لمباشرة مفاوضات الانسحاب، يرفضه فيليب حبيب.

خيار كربلاوي في رد أبي عمار على بعض زعماء بيروت الذين يبتزون باسم انقاذ العاصمة من الدمار: قرارنا القتال. وسوف نستخدم كل الأسلحة. ولن تسلم منطقة. عليَّ وعلى أعدائي، يا ربّ! سوف يتجمع الفلسطينيون في المخيمات ويقاتلون حتى آخر رجل. والقلة الباقية سوف تعيش في هذه الأرض خراباً. مستعدون لكربلاء جديدة. كربلاء الفلسطينية. وليتشيّع العالم العربي معنا ومن بعدنا لألفي سنة جديدة.

* * *

الذين يسبحون ضد التيار قد لا يستطيعون تغيير مجرى النهر، لكنهم قد ينجحون في بلوغ هدفهم!

الأربعاء ٢٨ تموز

على الفيديو، الحلقة الأخيرة في فيلم «عمر المختار». المختار يقع في الأسر. قائد الحملة الإيطالية يحاول إقناعه بالتفاوض. يعرض عليه العفو عنه وعن رجاله ومعاشاً تقاعدياً مغرياً. يسأله عمر المختار:

«وأنا، ماذا أقدّم لك في المقابل؟ تعاوني؟ نحن قوم لا نستسلم. ننتصر أو نموت!».

الجمعة ٣٠ تموز

فرقة إسرائيلية احتلت محطة ضخ المياه في الأشرفية منذ أسبوعين، وقطعت المياه نهائياً عن بيروت الغربية. صارت قساطل الماء بين بيروت الشرقية وبيروت الغربية تمرّ عبر الشرق والغرب. وساطات ومداخلات ومساعٍ عربية ودولية لدى واشنطن وتل أبيب للإفراج عن المياه المأسورة...

فيليب حبيب يقول لوليد جنبلاط: إني أشتغل سمكرياً هذه الأيام. وسمكريٍ بالفعل هو. ولكن على طريقة بعض سمكرية بلادنا. يقفل سِكْرَ المياه أو يخرّب لك قسطلاً عن قصد، كي تستدعيه. فيبيعك من كيسك.

لقد أحسن الأميركيون الاختيار. أرسلوا إليك ديبلوماسياً من أحفاد «باعة الكَشة» يتشاطر عليك، أيها اللبناني الشاطر، ويضحك على ذقنك!

ياسر عرفات يتساءل: هل المطلوب خروج المقاتلين الفلسطينيين من بيروت أم ذبحهم فيها؟ وفيليب حبيب يعدّ ورقة العمل اللبنانية حول جدولة الانسحاب.

والعرب يستقدمون بشير الجميل إلى قمة الطائف، في الوقت الذي يجابه ترشيحه مصاعب فعلية في المجلس النيابي. طبعاً، سوف يقال لنا إن المقصود استيعاب «قائد القوات اللبنانية» وإقناعه بالاعتدال.

وسوف يحاولون إقناعنا بأن عدم اجتماع بشير الجميّل بالملوك والرؤساء شخصياً يشكل، في حدّ ذاته، انتصاراً كبيراً لقضيتنا.

تكتيك!

والطائف مذكر طائفة ــ والطائفي ــ أي المُشارك في قمة الطائف ــ تذكير للطائفية. فأي سفاح هذا الذي يجري؟!

* * *

الرجل الصامد في بيروت الغربية تسكنه هذه الخاطرة: إنه يتنزه مع طفلته الوحيدة في مدينة بلا حرب.

خاطرة قادرة على زحزحة الجبال.

* * *

كيف تُزَجّم أصوات الغارة بغناء فيروز.. ذلك هو فن مقاومة الحصار!

السبت ٣١ تموز

ماذا يعدّون للبنان؟ (أيضاً وأيضاً).

آموس برلموتر صديق شخصيّ لشارون يعمل رئيساً لتحرير مجلة «الدراسات الاستراتيجية» الأميركية. زار لبنان المحتل خلال شهر كامل وكتب مقالاً خطيراً في صحيفة «وول ستريت جورنال»، يدعو فيه الإدارة الأميركية إلى مراجعة سياستها التي تؤكد على

وحدة لبنان وتقول بدعم نشوء حكومة مركزية قوية. يقول برلموتر: «الوحدة الوطنية التي تحاول الولايات المتحدة إعادتها وإحياءها هي مجرد سراب، وكذلك الأمر بالنسبة لما يسمى الحكومة المركزية اللبنانية التي يتعامل معها السيد فيليب حبيب». ويدعو الكاتب إلى التعامل مع «الواقع اللبناني الجديد» الذي يصفه على النحو الآتي: «لبنان مجموعة من الزعامات العائلية وشبه العسكرية لا تشكل وطناً، ولا بلداً، وهي لا تتفق فيما بينها إلّا على وجوب خروج منظمة التحرير الفلسطينية»، أما «لبنان الواقعي»، حسب تقدير الكاتب، فهو كالآتي: «٤٠٪ يشمل النصارى والشيعة والدروز في منطقة تضم لبنان الأوسط وبيروت وطريق بيروت ــ الشام حتى الليطاني. ٣٥٪ هي الشمال والوسط الشمالي من البقاع وتسيطر عليه سورية. والبقية هي جنوب لبنان الذي يمتد من الليطاني جنوباً، بما في ذلك صور وصيدا. وهو المنطقة التي يسيطر عليها سعد الحداد».

أما السياسة الأميركية البديلة التي يدعو إليها صديق شارون فهي رعاية أميركية لمصالحة بين سورية وإسرائيل تحقق «وصاية مشتركة» Condominium لهما على لبنان. تتنازل سورية عن تأييدها لـ «م.ت.ف.» وتقطع علاقاتها بإيران في مقابل استعادتها للجولان وحصولها على جزء من البقاع. وهذه المنطقة تساوي سيناء بالنسبة لمصر. أما إسرائيل فلها الجنوب.

وفي انتظار البتّ في هذه المقترحات، هذا هو جديد الآلة الحربية الأميركية: قنابل تحوي ألف كيلو من مادة «ت.ن.ت.» تتساقط على بيروت.

لم يبق غير القنابل الذرية التكتيكية لم يستخدمها العدو علينا.

الأحد الأول من آب

من الثالثة والنصف فجراً حتى الخامسة من بعد الظهر، ١٨٠ ألف قذيفة إسرائيلية من مختلف الأسلحة والعيارات على بيروت.

تقدم آلي للعدو لاحتلال مطار بيروت الدولي.

أضرار فادحة في أحياء بأكملها: ضحايا كثيرة بين المدنيين. مقاومة ضارية لمحاولات تقدم العدو على الجبهات الأخرى، في الساحل خاصة. أكثر من ٨٠ شهيداً لدى القوات المشتركة والجيش السوري.

الملجأ بؤرة تضامن وصمود. دقائق معدودات بين غارتين لطائرات العدو، امرأة تعلن: راحت الطائرات الإسرائيلية تتزود بالوقود من السعودية! تقولها وهي تبتسم وكأنها البداهة عينها.

المغرب في الزيدانية. في أحد الأزقة، أطفال ينشدون: «صامدون هنا. صامدون هنا».

رغم هذا الدمار العظيم..

الاثنين ٢ آب

تسنى لي، ذات مرة، أن أطّلع على بعض ملفات الطلبات والشكاوى التي قدمها مواطنو اليمن الديموقراطية إلى مكتب الرفيق

الرئيس علي ناصر محمد. وهي عادة قديمة دأب عليها الأمين العام للحزب الاشتراكي اليمني منذ أن كان رئيساً للوزراء. فهو يتلقى مئات من مثل هذه «العرضحالات»، يدرسها ويبتّ بها فوراً وبنفسه.

وقد لفت نظري وأنا أقلّب تلك الرسائل أن العديد منها يفتتح بهذه العبارة: «تحية العمل والأمل».

لم تكن الرسائل حزبية. كانت موجهة من مواطنين عاديين. ولا التحية، على كل حال، هي التحية الرسمية للحزب الاشتراكي اليمني. ومع أن التحية أثارت فضولي، فلم أوفَق بعد في التنقيب عن أصلها.

لسبب ما تذكرت هذه التحية اليوم، الاثنين في ٢ آب بعد جحيم الأمس. تراها تحية منحدرة من أيام القرامطة؟ السؤال يستحق البحث لإيجاد جواب حاسم عنه. وقد أولى قرامطة اليمن والجزيرة والبحرين أهمية خاصة للعمل، والعمل اليدوي تحديداً. وتمر في خاطري نادرة يرويها رفاق في الحزب الاشتراكي اليمني إلى المناطق الجبلية التي حضنت القرامطة.

بعد انتصار الثورة، عاد هؤلاء الثوار إلى قراهم، وأخذوا يبشّرون في ندوات جماهيرية، بالنظام الجديد. أخذوا يتحدثون عن الاشتراكية وعن تطبيق شعار الأرض لمن يفلحها وعن توفير العمل والخبز والتعليم والطب للجميع. وبعد انتهاء الندوات كان مشايخ القرى والمسنّون ينتحون بهؤلاء الدعاة المناضلين جانباً ويسرّون لهم بالآتي: يا أولادنا كلامكم جميل. ولكن، هل تعتقدون أنكم تأتوننا بجديد؟ هذا الكلام الذي تتحدثون به الآن علناً نتناقله سراً،

أباً عن جد، منذ مئات السنين. ولكن، إيّاكم أن تسمعكم الحكومة!...

الذاكرة الشعبية لا تنسى، وإن لها قدرة عجيبة على الاحتفاظ بكل ما يرتبط بالعدل والحرية والمساواة.

«تحية العمل والأمل» تقيم صلة مثيرة ــ وأكاد أن أقول سحرية ــ بين جهد عضلي مادي من جهة وبين حالة نفسية وترصّد وتوقع غير ملموسين من جهة ثانية.

ومهما يكن من أمر أصلها، فالتحية ماركسية في الصميم. يلاحظ أنطونيو غرامشي، في صفحات رائعة، أن الأمل توفره رؤيتان للعالم، كلاهما يعصم الإنسان من الشك القاتل ومن نزعة الاستسلام الوثنية.

الرؤية الأولى هي الرؤية الدينية التي تبثّ في الإنسان الاعتقاد بأن في مستطاعه الاستنجاد بقدرة علوية على الطبيعة وعلى قواها الغاشمة وعلى «الشرّ» في آن معاً. وركيزة الأمل في الرؤية الدينية هي الإيمان بحتمية بلوغ السعادة الأبدية في الملكوت السماوي، في الحياة الأخرى.

أما الرؤية الثانية، المانحة للأمل، فهي الماركسية. وهذه تبثّ في الإنسان الإيمان بقدرته غير المحدودة على الاستنجاد بنفسه في صراعه الذي لا ينتهي ضد الطبيعة وقواها الغاشمة. وهذه القدرة هي العمل، لأنه بواسطة العمل يقهر الإنسان الطبيعة، تدريجياً وتصاعدياً، ويحوّلها، ويسخرها لإرادته وحاجاته. وخلال هذه العملية، «يؤَنْسِنْ» الإنسان الطبيعة ويتأنْسَن هو نفسه. ومن هنا هذا

التعريف اللامع لغرامشي: رداً على سؤال الفلاسفة ــ «ما الإنسان»؟ ــ يجيب المفكر الماركسي الإيطالي: إن الإنسان هو الصانع الذي يبدع ذاته.

ولأن الذاكرة الشعبية لا تنسى، هذا ما يردده الأطفال الكاثوليكيون في إيرلنده في صف التعليم الديني. المعلم يسأل: من خلق العالم؟ ويجيبه التلميذ: أبي وسائر العمال!!

ومصدر الأمل في الماركسية هو أنه باستطاعة الإنسان بلوغ الملكوت الأرضي، بناء «الجنة على الأرض»، أو بعبارة ماركس ذاته: العبور من ملكوت الحاجة إلى ملكوت الحرية، حيث يتحرر الإنسان من صراعاته الإنسانية، ويتفرغ لصراعه مع الطبيعة، لمزيد من السيطرة عليها وتسخيرها لحاجات تقدمه وحريته وسعادته. ولو شئنا مزيداً من الدقّة لقلنا إن الماركسية هي فلسفة الأمل. بل هي نظرية ممارسة الأمل عبر التاريخ.

في مكان آخر، يلاحظ غرامشي التناقض الكامن في وضعية الطبقة العاملة. فالعامل، في ممارسته يغيِّر العالم المادي. لكن العامل، في فكره، قد يبقى مشدوداً إلى أفكار وتصورات وأوهام تتشبث بما هو قائم، لا بل قد تكون مشدودة للعودة إلى الماضي. وحلّ هذا التناقض يكون بتلاؤم الوعي مع الممارسة. ومن هنا إصرار غرامشي على تسمية الماركسية ــ نظرية الممارسة ــ نظرية الإنسان الذي يصنع العالم ونفسه، ويعي، في الآن ذاته، شروط وقوانين وظروف عملية الإنتاج هذه وقوانينها وظروفها.

عودة إلى تحيتنا: تحية العمل والأمل. التناقض محلول هنا. فواو العطف تحقق المطابقة بين الفعل والوعي. بين النظرية والممارسة.

بالطبع، حق للناس جميعاً أن يأملوا. بل هو واجب. فما «أضيق العيش لولا فسحة الأمل». ولكن الذي يعمل يحق له أن يأمل في أن تعود خيرات عمله إليه.

والأمل يتحول إلى مجرد ترّهات أو أوهام، إنْ هو لم يرتكز على النشاط العملي الذي يجعل تحقيقه ممكناً. وما الأمل، في نهاية المطاف، سوى وعي تلك القدرة على صنع المستقبل والتحكم به.

وحده العمل يحقق الأمل. والعاملون هم صنّاع الأمل. العمل أمل، والأمل عمل.

الأمل صناعة كغيرها من الصناعات.

والأمل في هذه الأزمنة العربية الرديئة، حِرفةٌ يجب أن نمتهنها بحذاقة.

الأربعاء ٤ آب

«إنني أطارد في بيروت فلول الجيش الهتلري في برلين المحاصرة» ــ من رسالة مناحيم بيغن إلى رونالد ريغن تعليقاً على هذا اليوم الفظيع. تختصر هذه العبارة كل قصته في هذا الفيلم الأميركي ــ الإسرائيلي الطويل.. الطويل.. الذي يدخل أسبوع العرض التاسع.

راعي بقر مهووس بمطاردة الهنود الحمر وقد لبسوا لبوس «الإرهاب الدولي» وإرهابي بولوني يريد بيروت «ديكوراً» لفيلم عجز عن تمثيله في الحياة الحقيقية، يتشاركان في إنتاج وإخراج هذا الفيلم الذي هو حلم العمر لأي مخرج وأي ممثل ــ فيلم «السينما ــ

الحقيقة». ساعد في الإخراج: فيليب حبيب. البطولة لآريل شارون. والإنتاج الهوليودي الضخم تمَّ بمشاركة أموال نفطية عربية. وتحذير: كل شَبَه بين شخصيات هذا الفيلم وبين أشخاص حقيقيين مقصود، مقصود، مقصود!

لذا ينبغي لبيروت ١٩٨٢ أن تتشبه ببرلين الأربعينيات. وينبغي للمقاتلين اللبنانيين والفلسطينيين أن يتحولوا إلى «كومبارس» من الضباط والجنود النازيين. وينبغي لأهالي بيروت أن يرتدوا أزياء العهد الهتلري. وينبغي أن تسلّط على هذه المدينة آلة الدمار الإسرائيلية made in U.S.A لكي تنجح هذه السينما ــ الحقيقة.

والحال أن كل قصتنا نحن العرب، مع الصهيونية والغرب في هذه القصة: الضحية تمثّل مع ضحيتها ــ تمثّل في ضحيتها ــ كل ما تعرضتْ له هي على يد جلادها. هنا تكمن لعبة الاستبدال التاريخي الحقيقية والمقيتة هذه. ونحن أمام حالة فريدة من نقل الذنب. ذلك أن التوازن الأخلاقي للصهيونية لا يستوي إلّا إذا تحولت ضحية الصهيونية إلى سفاح، فيتحول السفاح الصهيوني بدوره إلى ضحية. والضحية تقتل ضحيتها مرتين: تقتلها وترفض الاعتراف بأنها ضحية ــ والتمثيل بجثة هذه الضحية يكاد أن يكون كل «التمثيل» الذي يحويه هذا الفيلم. فهل من تمثيل بجثة أفدح من حرمانها «الحق» في أن تكون ضحية؟!

وبعد هذا كله، هل يُستبعد أن يكون طموح شارون أن يصل بجيشه إلى «قيادة أركان المخرّبين» ليرفع على أنقاضها علم الدولة العبرية؟ أليست هذه هي النهاية الظفراوية المناسبة لهذا الفيلم الإيديولوجي المكرب؟ أليس هذا هو المشهد الذي حُرِم شارون

وأقرانه من زعماء الصهيونية من تمثيله في الحياة الحقيقية، فكان لا بد من إعادة تمثيل المشهد التاريخي على هواهم؟ فيحل شارون محل الضابط السوفياتي الذي حرّر برلين. وتحل بناية متخلخلة في صبرا أو الفاكهاني محل مبنى الرايخشتاغ النازي؟!

ثم أليست هذه هي الإمبريالية؟

ينتقمون من النازيين بالاستبدال، كي «يتطهر» الغرب من عقدة ذنبه تجاه اليهود؟ أليست المستعمرات هي الأوعية التي تتقيأ فيها الحضارة الغربية كل ما لا تستطيع هضمه، من السلع المعطوبة إلى العنف المكبوت والنفايات النووية؟

وتلك هي «حضارة المشهد» بالسينما والتلفزيون والفيديو ووسائل الإعلام السمعية ــ البصرية الأخرى والأقمار الاصطناعية وكل هذا الحشد من المستحدثات القائمة على اللصلصة والخداع!! ويجري تصوير هذه السينما ــ الحقيقة، وتعرض الأفلام ــ بأحدث الألوان ــ على شاشات التلفزة والسينما وأشرطة الفيديو. ومساء، خلال عشاء من دجاج أو «بيفتيك» مع البطاطا المقلية، أو من «الهامبرغر» مع «الكيتشاب»، هناك من سوف يتفرج على جثثنا كعورات فاغرة. هناك من سوف يختلط لديه الروع بشعور من الاطمئنان لأن كل هذه البشاعات تحدث بعيداً. بعيداً.. عن تلك الحواضر الآمنة. وقطعاً سوف يتأثر الكثيرون. ويرتخّ وتر الشعور بالذنب لدى العديدين. فبعض التفريج عن هذا الذنب لإراحة الضمائر المكتئبة. ولكن، بأي ثمن من لحمنا ودمنا؟

ومن ثم إلى يوم عمل آخر وإلى ترقب لبرامج وأفلام أخرى... لمذابح وفظائع أعنف وأبشع في أنحاء أخرى من العالم. في مجتمع

الاستهلاك لا بد له أن يُدهِش ويدهَش باستمرار. ومستهلكوه يتطلبون المزيد والمزيد من الصدمات والفظائع والخرائب، ولا يرتوون.

كم هي واسعة ذمتك أيها العالم الأول!

وأنتَ يا أعجب المخلوقات.

أيها الضحية المتّهمة، والجثة المُجْرِمة،

ناضِلْ أقلاً ليعترفوا لك بمكان تحت الشمس بصفتك مجرد ضحية!!

الخميس ٥ آب

بيروت عاصمة الألم. بيروت عاصمة الأمل.

* * *

العنوان الرئيسي في «السفير» عن يوم أمس:

«بيروت تحترق ولا ترفع الأعلام البيضاء!». وناجي العلي، الخارج لتوه من تحت أنقاض مخيم عين الحلوة، يرسم هذه اللوحة: «حنظلة» بالكوفية يقدم وردة للعروس بيروت التي تطل من خلف الدمار: «صباح الخير، يا بيروت».

* * *

عندما يختلط عليك الأمر، وتحسب قمر آب قنبلة تنوير، فأنت تحت الحصار، يا صديقي.

الجمعة ٦ آب

عندما توفي الملك خالد، أعلنت الإذاعات العربية الحداد لثلاثة أيام على الأقل. ستون يوماً وفقراء بيروت يموتون. وما من إذاعة تجد فيما يجري مناسبة للحداد.

ستون يوماً وفقراء بيروت الغربية يموتون، وإذاعة حزب الكتائب تعيش بهجة الإعلانات: كازينو الصومعة في حراجل. مطعم العلالي في فتقة. عرق أبو عقل الذي يحوز ثقتكم. فرشاة أسنان الدكتور وست. عرق غنطوس وأبو رعد الذي من عُمر الأرز العالي. أقلام باركر للحبر الناشف. بيرة هاينكن التي تنعشنا دائماً «على طول»! وطعم العرق الأصيل في عرق المزار، المعتّق بخوابي الفخار.

يا فقراء بيروت، متى يأتي ملكوتكم لتكون لكم إذاعتكم؟

وكانت إذاعة حزب الكتائب تبث إعلاناتها: «إسهر في الضبية كأنك في اليونان...» عندما ظهرت طائرة فانتوم فجأة في سماء بيروت. أغارت وقصفت. مع أن صوت الانفجار كان مكتوماً، فقد كان الهدف قريباً جداً. بعد دقائق، يأتي الخبر: بناية عكر، قبالة حديقة الصنائع، انهارت على من فيها. مئات القتلى والجرحى. وأكثرية سكان (وضحايا) البناية من مهجري مخيم الضبية الذي اجتاحته القوات الكتائبية عام ١٩٧٦ وهجرت سكانه

من الفلسطينيين المسيحيين إلى بيروت الغربية.

وكل هذا، أيها السادة، لكي تستطيعوا السهر في الضبية وكأنكم في اليونان!

* * *

وتعلمنا الإذاعات أن القنبلة العجيبة هذه تسمى القنبلة الفراغية، وهي تُرمى على أساسات البناية فتحدث فراغاً يؤدي إلى انهيار البناية. شكراً للمعلومات.

الفضول يدفعك نحو البناية المدمرة.. كانت بناية. والآن كومة ركام. جرافة لا تزال تحاول إنقاذ من بقي حياً في الملجأ. وبعد ثوان من مغادرة المشهد، سيارة مفخخة تنفجر عند مدخل وزارة الإعلام على بعد أمتار قليلة من البناية المدمرة. مزيد من القتلى والجرحى بين مهجري حديقة الصنائع وعمال الإنقاذ وأهالي المنطقة.

وتعود للبحث في مخيم الحمراء عن الشاعر المصري الصديق ليقرأ لك أشعار «العشق في زمن الحرب».

* * *

آخر مبتكرات القتل الإسرائيلي: قنص الأفراد بواسطة طائرات الفانتوم. الرجل الذي تطارده طائرات الفانتوم ظل يتجول أربع ساعات في سيارته تحت القصف والمطاردة كي يوفر على بناية وسكانها قنبلة «فراغية» جديدة من صنع أميركي.

قنص الأفراد بطائرات الفانتوم! هل من دليل أكبر على جبن جيش العدو؟ هل من دليل أكبر على قوة ذاك الرجل والرجال الذين معه؟

الرجل الذي تطارده طائرات الفانتوم مرّ علينا ليلاً. حَذِرٌ وقوي ومتوثّب كالنمر الجريح. والمطاردة تزيده توثباً وقوة.

الاثنين ٩ آب

بدأ البحث في تعيين اليوم ي.

اليوم ن عندي يبدأ برسالة من المدينة البعيدة:

«... كانت هذه المدينة تبدو لي دوماً وكأنها جسد. جسد ضخم تدب فيه الحياة دبيباً بطيئاً. وقلب هذه المدينة يواصل خفقانه رغم كل شيء بصوت أصمّ. وهذا القلب هو بيتنا في حينا الصغير الأخاذ.. وقد بتُّ متعلقة به أكثر من أي شيء آخر...».

في حيّنا الصغير الأخاذ..

جار الطابق الأول عازب في العقد السادس من عمره يعيش مع أمه المريضة المقعدة وخادمتين مصريتين. يعمل في الترجمة الحرة ولا يتعاطى السياسة، حسب تعبيره. يقضي القسط الأوفر من يومه بحثاً عن خضر طازجة لأمه. ومع اشتداد الحصار، تطول دورته اليومية وتزداد المصاعب أمامه.

جار الطابق الأول طرق بابي هذا اليوم، يطلب زجاجات مياه

معدنية. يخبرني همومه في البحث عن الخضر اليومية. بقي لنا صندوق واحد من هذه الكمالية الثمينة: نتقاسمه، يا جار.

قبل أن يغادر:

ـ عندما تركنا فلسطين، قالوا لنا: أسبوعين أو ثلاثة وتعودون. مضى علينا ٣٤ سنة. والآن، ماذا سنفعل؟

وأنا، بماذا أجيب جار الطابق الأول؟

* * *

وفي حيّنا الصغير الأخاذ...

البناية باتت فارغة إلّا من شقتين أو ثلاث. غادر جار الطابق الخامس. كان يصرّ على البقاء في هذه العاصمة وهو المهندس غير اللبناني، مع أن شغله خارج لبنان، ومع أن زملاءه وأصدقاءه اللبنانيين، وعدد منهم ملتزم في أحزاب اليسار، غادروا منذ أسابيع. وكان يعدّ بقاءه واجباً قومياً، وحداً أدنى من المشاركة لهذا الشعب في صموده: حالي من حالة الناس، يقول بعناد. وغادر على مضض بعد أن ساءت صحة زوجته.

غادر الجار المهندس وترك لي عصافير في أقفاص وتصميماً لنصب تذكاري تخليداً لمعركة مثلث خلده. على ضوء الشموع وقناديل الغاز ساهم الجار بقسطه في مقاومة هذه المدينة: النصب كناية عن منتزه من المدارج المحاطة بالخضرة والمياه، ترقى إلى شعلة الذكرى في مواجهة البحر. وإلى اليمين بركة الشهداء. والمدرج سقف

لطابق تحت الأرض يحوي بهواً كبيراً وقاعات للاحتفالات والمعارض وأنفاقاً تستعيد بالصوت والصورة مشاهد معركة المثلث. وأحد هذه الأنفاق نفق طويل يقود إلى قاعتين مطليتين بالأبيض. وسط الواحدة خوذة مثقوبة ووسط الثانية رشاش كلاشينكوف معطوب: قاعتان لتكريم مقاتلي الحركة الوطنية اللبنانية والمقاومة الفلسطينية.

من يحقق حلم الجار المهندس في تخليد ذكرى معركة مثلث خلده؟ من ينفذ له تصميمه؟ ومتى؟

وفي الانتظار، يكتب من بعيد حرقته: أنا أساهم في إعمار مدينة خليجية، وبيروت تتهدّم!

الثلثاء ١٠ آب

بيروت بلا ماء.

على المعابر، يصادرون زجاجات المياه والسوائل ولو كانت رضاعات الأطفال. ممنوع أن تتسرب قطرة ماء واحدة إلى هذه العاصمة المحترقة بالقنابل والظمأ. لأسبوع واحد أعادوا ضخ المياه، بأمر من واشنطن وتل أبيب. ثم عادوا فقطعوها، لمزيد من القهر. الآبار تنضب. والمياه صارت مالحة..

بيروت بلا غذاء.

على المعابر، يصادرون المواد الغذائية، حتى السندويشات. الخبز أسود ونادر. الطوابير طويلة وكثيفة أمام الأفران. عائلات عديدة

لجأت إلى أساليب مقاومة حصار ١٩٧٦: الخبز على الصاج في البيوت. ومن أسابيع نسينا طعم الخضر والفواكه. ولعل العدو نسي أن هذا هو الحصار الثاني الذي تقاومه بيروت.

بيروت بلا دواء.

على المعابر، منعوا سيارات الصليب الأحمر من نقل وحدات من الدم إلى بيروت الغربية. معظم المستشفيات والمستوصفات أُصيبت خلال القصف. غادرت أكثرية الأطباء. مستشفى الجامعة الأميركية وحده لم يُصَب حتى الآن، لكنه يشكو نقصاً في كل شيء ولا يستقبل إلّا الحالات الطارئة. يجري إفراغ خزانات المازوت في البيوت لمدّ مولدات الكهرباء بالوقود.

معلومات عن إصابات بالتيفوئيد والكوليرا. بدأ الحصار يدخل في جلد أهالي بيروت الغربية. ووحدها الجرذان في صحة جيدة.

بيروت بلا كهرباء.

لكن الناس اعتادت ليالي الشموع وقناديل الغاز. أقمارنا قنابل التنوير. ونجومنا الرصاص الخطاط. وعندما يُسأل الناس: ألستم مسرورين لأنهم وعدوا بإعادة التيار الكهربائي؟ يجيبون: لا نريدهم ولا نريد كهرباءهم! وبدلاً من عودة التيار الكهربائي، قُطِعَت خطوط الهاتف.

إنه المساء..

تسير متعرجاً في زقاق ترابي مظلم بين عائشة بكار وكركول

الدروز على ضوء «الأنتريك»، تتحاشى البُرَك الصغيرة من مياه ثمينة مهدورة. ومن أكوام النفايات، ينبعث نور شاحب ودخان كثيف.

المدينة صامتة. وكأنك تستطيع أن تسمع لهاثها البطيء في هذا الحرّ الثقيل. وفيما أنت تلج الشارع الخاوي، فجأة يزكم أنفك عبق الياسمين العنيف الثاقب.

تستوقفك للحظة هذه الصدمة العطرة. ثم تواصل السير ودوّار خفيف من النشوة يلف رأسك.

بيروت الياسمين.. أُحبك..

الأربعاء ١١ آب

في هذا الصباح الرطب، قبل أن يشتد قيظ الشمس على بيروت، شجرة الجمّيز قبالة النافذة تتمايل مع نسمات نادرة. وفوق سطح بيت متواضع، صبية تنشر الغسيل في حركات رشيقة. تنحني وتنتصب ثم ترفع ذراعيها نحو الحبل، ووجهها الحنطي يطل ويتوارى خلف الغسيل. وعند الكاحل، وتر القدم، ضمّة سنابل نحيلة تتفرّع وتختفي تحت الرداء.

وعلى المذياع، فيروز تنشد لجبران:

وطني يأبى السلاسل

وطني الفلاحون، وطني الكرّامون

وطني البنّاؤون

أرض السنابل، وطني.

وفوق شجرة الجمّيز، على سطح بناية عالية، سرب من حمام بيروت يحطّ ويطير على وقع القذائف.

الخميس ١٢ آب

غارات طيران منذ السادسة صباحاً حتى الخامسة بعد الظهر.

«أيوب» مواطن مجهول الهوية يكتب صبر هذه المدينة، ويزرع شوارع منطقة الحمراء بشعارات ويافطات التحدي والصمود:

بيروت أغنية من نحاس والممالك أنظمة من زجاج.

صباح الخير، يا بيروت

صباح الصمود

صباح الفقراء وراء الخبز.

الاثنين ١٦ آب

ماذا يعدّون لهذا البلد؟

شمعون بيريز يعلن في الولايات المتحدة: «الحل الأقرب إلى التحقيق في لبنان هو تقسيمه وإعادته مصغراً إلى حدود ما قبل

الحرب العالمية الأولى» (من تقرير لجون راندال في «الواشنطن بوست»).

إذا كان هذا هو هديل «الحمائم» الإسرائيلية، فكيف تفعل مخالب «الصقور»؟

وفد النقابات الفنية المصرية يغادر بيروت. في المؤتمر الصحافي: «الظاهرة لا يمكن وصفها بالكلمات، التجربة الإنسانية أكثر من عظيمة. هنا يقوم الإنسان العربي بمعجزة حقيقية.. لو لم نحضر لندمنا على ذلك بقية العمر. رد فعل الجماهير والمقاتلين والقيادات من لبنانية وفلسطينية على حضورنا كان مذهلاً».

شيء من السينما المصرية وشيء من التضامن النضالي. ومهما يكن، فكلنا عرفان بالجميل لأبناء الشعب المصري الذين شاركونا أيام العذاب والبطولة هذه.

اثنان من أعضاء الوفد زارا الشقة التي هي مركز ومكتب ومطعم ومنامة جماعية للرفاق. ووسط جلبة الغادين والرائحين، والمكالمات الهاتفية، ساعة أو أكثر من التضامن الحار الصادق على لسان هذه الأم المصرية التي حرموها التعليم لأنها امرأة، فصمّمت على أن تدرس وأن تصبح كاتبة مسرحية. ونجحت. وناضلت وعرفت السجون. ومعها زميلها المخرج. وتبادلنا أطراف حديث جاد عن دور الشيوعيين اللبنانيين في المعركة، عن المستقبل القلق للبنان، عن حركة التحرر العربية والنهضة المطلوبة لقواها الثورية، عن مصر ــ الشعب وفعاليات التضامن معنا. وتواعدنا على مواصلة البحث قريباً في بيروت والقاهرة.

عصافير بيروت

أحكي لك حكاية؟
عن حَكي. عن شِكي. عن بِكي.
عن دبس شديد بعلبكي
ما بينشال بالإيد
إلا بخاتم سِتّي أم شديد...

في يوم قرر جاري يسافر. وقبل ما يودعني، أعطاني مفتاح بيته وقال لي: اهتمّ فيه.

وبالبيت كان في خمس عصافير بالأقفاص.

قلت لجاري: شو بدنا نعمل بالعصافير؟ حرب وضرب وما في مَيّ... ومين عنده وقت يهتم فيهم؟

... وقعدنا نفكر.

وبتعرفي أنا ما بحب العصافير يكونوا بالأقفاص. بحبهم على الشجرة عم يغنوا. ولما أمك اشترتْ لك قفص حلو، ما قبلت تحطّو فيه عصفور..

بالأول، فكرنا نفتح الأقفاص ونخلي العصافير تطير.

أحلى فكرة.

لكن عدنا غيّرنا رأينا. قال لي جاري:

ــ هيدي العصافير غريبة. ما في منها بلبنان. ومن كثر ما انحبست بالأقفاص ما عاد تعرف تطير. ولا بتعرف تفتش عن الأكل لوحدها. ولا هي تقدر تخاوي العصافير البرية على الشجر. وإذا فتحنا لها الأقفاص، يوم يومين أو ثلاثة وتموت..

ــ بس، مش حرام تظل محبوسي بالأقفاص؟

ــ حرام. بس أحسن ما تطلع من الأقفاص وتموت!

قررنا نخلّي العصافير بالأقفاص ونهتم فيها. على الأقل، تكون محبوسة ولا تموت.

وصرت كل يوم أطلع على بيت جاري اتفقد العصافير. ارمي لها القنبز، واسقيها ميّ. مع أنه كان في حرب، وكانت أصوات القنابل والانفجارات، ظلت العصافير تزقزق بالأقفاص. وكانت العصافير على شجرة السرو الكبيرة حدّ البيت ترد عليها.

ويوم، كان في ضرب كثير. والناس نزلت على الملاجىء. والأولاد فزعوا. وتعبّطوا بأمهاتهم. وفي أولاد صارت تبكي وتصرّخ.

وبعد ما وقف الضرب، طلعت لبيت الجار. كانت العصافير ساكتة. والعصافير البرية على شجرة السرو ما كانت عم تغني. ولقيت عصفور على أرض القفص. فتحت باب القفص. ما تحرك. حركته ما تحرّك.. كان العصفور ميت. وباقي العصافير ظلت ساكتة... وأنا حزنت كثير على العصفور اللي مات بالقفص.

حكايتي مش حلوي كتير. ولا فِرحة كتير. بس هيدا اللي صار.

وهيدا اللي عم يصير:

ببيروت في عصافير بتموت من الحرب والضرب.

ببيروت في عصافير بتموت إذا طلعت من الأقفاص.

وببيروت في عصافير بتموت بالأقفاص لأنها ما بتطيق الحبس.

وهيدي حكايتي حكيتها. وبعبَّك خبيتها.

وما تخليها بعِبَّك..

خبريها لصحابك الصغار.

خبّريهم عن العصافير اللي عم تموت ببيروت.

الجمعة ٢٠ آب

كم هو حزين هذا المساء..

الرصاص يدوي منذ المغرب. المقاتلون يودعون بيروت. كل على طريقته.

والكل بالرصاص. مئات منهم هائمة على وجوهها في الشوارع. ارتدوا البزات الجديدة تمهيداً للمغادرة. يطلقون النار بلا هدف. احتجاجاً، غضباً، تحسراً، وربما أيضاً حتى لا تقع الذخيرة في قبضة العدو...

الأحد في ٢٢ آب

اليوم الثاني للهجرة الفلسطينية.

على الغذاء عند الصديق الرسام. كان مستغرقاً في مائياته عن الطبيعة عندما دهمته الحرب. قتمتْ ألوانه، وهو سيّد من استخدم الضوء والنور. وتكسرت خطوطه. وطائره الأسطوري الزاهي الألوان، صار أشبه بغراب، وانقلب على ظهره.

مقابل المرسم شقة يسكنها مهجرون. (لبنانيون أم فلسطينيون؟ من يستطيع أن يميِّز؟ جنوبيون، بقاعيون، من يدري؟ وما هَمّ؟). أمٌّ لا تتجاوز الثمانية عشر من العمر، ذات ثوب أصفر تلاعب طفلتها: الجمال الهادىء، الثقة بالنفس التي تفصح عنها ملامح الوجه، القامة الممشوقة والبطن المكوّرة العامرة.

الحرب تزيد نساءنا جمالاً.

عندنا في الجنوب، تنادي المرأة زوجها: «يا سَكَني». أدعو إلى أن نعكس الآية. في وطن المحرومين من أرضهم والمحرومين في أرضهم، في وطن المهاجرين والمهجّرين، المرأة هي السكن. والمرأة هي الوطن.

ومن مرسم الصديق الرسام إلى فندق الصديق الشاعر:

ــ ماذا فعلتَ يوم الأمس؟

ويجيب: لا شيء. قبعتُ في غرفتي وبكيت.

لا يريد أن يغادر مع المقاتلين:

ـــ أنا شاعر. لست مقاتلاً..

ويسأل: وأنت ماذا ستفعل؟ هل ستغادر أيضاً؟

ـــ ولماذا أغادر؟ هذا بلدي. وأنا باقٍ..

ـــ تنزلون «تحت الأرض؟»...

ـــ الأرجح. هذا ما نعدّ له من أسابيع..

وفي حلقة من الأصدقاء: من يغادر ومتى؟ ومن يبقى؟

وتساؤلات: ماذا لو نجح في انتخاب يوم الغد؟

الاثنين ٢٣ آب

اليوم الثالث للهجرة الفلسطينية الجديدة.

ساعة في الجامعة العربية لوداع المقاتلين. لستَ تدري في عرس أنتَ أم في مأتم. حلقات الدبكة تختلط بحلقات النساء النائحات النادبات. ووجوه تتعاقب عليها أمارات الفرح والغمّ. وعلى هذا الجمع الأخضر الخاكي، الموشّى بالأعلام الفلسطينية واللبنانية وبصور أبي عمار وجورج حبش وكمال جنبلاط وماركس وأنغلز، ينهمر العطر والأرز والورود مثلما تنهمر الطلقات الفارغة المتطايرة من مختلف الأسلحة..

وتخرج الشاحنات من بوابة الملعب البلدي. تشق طريقها بصعوبة وسط هذا الجمع الكثيف. وهذه الأمواج من الناس، تُغرقها بالأيدي المصافِحة الملوِّحة، المعانِقة، ثم تلفظها واحدة واحدة. ومع كل شاحنة تنفلت من هذا الجمع، يدوي الهتاف والصراخ، يدوي الانفجار العظيم لمضادات الطائرات تقفز عن الأرض مع كل رشقة، مثل حيوانات أسطورية من حديد، تبصق اللهب...

والمقاتلون الراحلون ينسلخون، رويداً رويداً، عن الأيدي المصافحة، الملوّحة، المعانقة. ينسلخون عن العناق. ينسلخون عن الوداعات. عن الأدعية. عن الوعود. عن العهود. ينسلخون عن القبلات. عن هذا الركام العظيم. عن الأطفال والزوجات والحبيباب والأمهات ينسلخون. ويسلخون معهم القلوب.

ويسيطر عليك شعور غريب، وطلقات النار توقّع نبضك بوَقْع سحري، ويمتلكك مزيج فريد من غضب ونشوة، من حزن وفخر، من تفجّع وكبرياء. ويشد أبو... بعصبية على يدك. وتشد أنت بدورك على يده، حتى لا تطفر الدمعة. تصافح. تحيي. تعانق. ترفع شارات النصر. وعندما لا تكفي، تلوّح بقبضة التصميم والغضب.

والمقاتلون الراحلون ينسلخون عن هذا الجمع ويغادرون. لم يكن لهم وطن. ابتنوا هنا شبه وطن. (وما استوطنوه. وما ملكوه. ولكن شُبِّه لهم...) وها هم يغادرون. يحملون وطنهم معهم: في دموع النساء. في عيون الأطفال. في الجعب والحقائب. في بزّات الخاكي. في الجراح والندوب.. في الجيوب. وفي الكوفيات والبنادق.

والمقاتلون الراحلون يحملون وطنهم ويغادرون. يطوون هذا الوطن المؤقت، مثلما تطوى الخيمة. كانت بيروت «خيمتهم الوحيدة»، فصارت «خيمتهم الأخيرة».

ولكنها تبقى «نجمتهم».

والمقاتلون الراحلون يودّعون بيروت. تقول يافطاتهم «قبلة لبيروت». وتودعهم بيروت. تقول يافطاتها: «سَمّوا أولادكم بيروت»!

والمقاتلون الراحلون يحملون وطنهم على ظهورهم ويغادرون. محرومون من وطن، استوطنوا الشجاعة.

وستكون الشجاعة وطنهم إلى أن يصير لهم وطن..

... ومن توديع المقاتلين إلى مقعد أمام التلفزيون وسط جمع من الرفاق لمشاهدة وقائع جلسة انتخاب رئيس الجمهورية الجديد في الفياضية.

الجو متوتر. والمراهنات على أشدها. يكتمل النصاب أو لا يكتمل؟ وإذا اكتمل فهل ينال الـ ٤٧ صوتاً الضرورية لفوزه أم لا؟ المذيعان يمتنعان عن إعلامنا بعدد النواب الذين وصلوا، مع أن عدداً كبيراً منهم لا يزال في غرفة رئيس المجلس، وتنتقل بين التلفزيون وإذاعتي لبنان والكتائب بحثاً عن معلومات تشفي الغليل.

خلال الانتظار، تبادل آخر الأخبار عن الضغوط والتهديدات. محاولة اغتيال نائب بعلبك لخفض النصاب.. استدعاء رئيس كتلة نيابية من غرفة العمليات في باريس لكي يدلي بصوته. أبرز الذين

موّلوا الحملة الانتخابية وأبرز الذين قبضوا... وأخبار النائب الذي نجح في الهرب من الشرقية إلى الغربية في آخر لحظة...

وهناك شهود زوّار (والألف تكون مجرد خطأ مطبعي) استقدموهم من أعرق البرلمانات الغربية، ليتحققوا من نزاهة عملية الاقتراع.

وفجأة يدخل عدد من النواب قيل إنهم كانوا من مقاطعي الجلسة. وبسرعة يدخل وراءهم رئيس المجلس بمشيته المتحدية. يعلن اكتمال النصاب. ويطلب تلاوة الأحكام الخاصة بانتخاب رئيس الجمهورية. لا يأبه بتعداد أسماء النواب الذين حضروا ولا بإعلان اسم المرشح الأوحد. الدورة الأولى من الاقتراع. جماعة «البروتستات» الذين لا يستطيعون الانتقال إلى صندوق الاقتراع، ينتقل الصندوق إليهم. الأنفاس محبوسة. نتيجة الدورة الأولى: أربع أوراق بيضاء وصوت واحد لصالح ريمون إده (غير المرشح) والباقي مع... على عجل، يعلن رئيس المجلس فوز بشير الجميّل رئيساً للجمهورية. لكن هناك من يهمس في أذنه بضرورة إجراء دورة اقتراع ثانية لأن المرشح لم يَنَل أكثرية الثلثين المطلوبة في الدورة الأولى.

النتيجة باتت معروفة..

إنه يوم تاريخي، بلا أدنى شك.

الغضب يختلط بالذهول. تغادر والجلبة والتساؤلات تطُنُّ في أذنيك كقفير نحل.

الخميس ٢٦ آب

اليوم السادس للهجرة الفلسطينية الجديدة.

طفلة لبنانية قالت لأبيها: الفلسطينيون ما لهم بيت. هكذا أخبرتني أمي. الفلسطينيون لهم المراكب فقط. مراكب كثيرة في البحر. شاهدتُها على التلفزيون. كل مراكب البحر للفلسطينيين..

السبت ٢٨ آب

تنفيذ الاتفاق على خروج المقاتلين الفلسطينيين ينطبق على اللبنانيين بطريقة مبهمة. أحزاب الحركة الوطنية تتخذ قراراً بسحب المسلحين من على خطوط التماس وتجميعهم في مراكز داخلية. ولكن ليس من مرجع يريد تنسيق هذه الانسحابات. بيروت متوجسة على مصيرها بعد استكمال خروج المقاتلين الفلسطينيين والانسحاب الوشيك للمتعددة الجنسيات. ورفول إيتان يحرّض على ميليشيات اليسار اللبناني وضرورة نزع سلاحها.

الجيش ينتشر مع الفرنسيين في رأس النبع ويتسلم المواقع من القوات الوطنية اللبنانية.

الخميس ٢ أيلول

إذاعة حزب الكتائب تفتتح ركناً خاصاً بالجنوب في إطار برنامج «بعدنا بخير». المذيع يلحّ على كون البرنامج بلا إعلانات. ولماذا هذا الكرم الحاتمي الكتائبي؟ الركن هدية مجانية من الإذاعة

الكتائبية إلى أهالي الجنوب، بمناسبة عودة الجنوب إلى.. لبنان!!

ومتى عُرِفَ السبب كَثُرَ العجب. حتى لا نقول: انفجر الغضب!

الأربعاء ٨ أيلول

وكالة الصحافة الفرنسية تنقل عن مصدر صحي مقرّب من الأمم المتحدة أن ٦٧٧٥ شخصاً قتلوا و٣٠ ألفاً جرحوا في المنطقة الغربية من بيروت خلال الهجمة الإسرائيلية التي بدأت في ٦ حزيران/ يونيو.

أبسط التقديرات هنا تتحدث عن ١٢ ألف قتيل. على كل حال، لن نختلف مع الأمم المتحدة. لم يبقَ لنا غيرها لم نختلف معه. ستة آلاف، سبعة آلاف قتيل وبيننا وبينها ليس بالأمر الخطير!

الأكثرية الساحقة من الضحايا من المدنيين (٨٠٪). ويوجد بين القتلى ألف مقاتل مقابل ٥٦٧٥ مدنياً. وبين الجرحى ١٨٤٤ مقاتلاً من أصل ٢٩٩١٢ جريحاً مدنياً. من حيث الجنسية ٤٥,٦٪ من المقاتلين فلسطينيون و٣٧,٢٪ لبنانيون. وثلث القتلى والجرحى لا تصل أعمارهم إلى ١٥ سنة.

الشهر الماضي، أعلن مناحيم بيغن استعداده لقتل عشرة مدنيين لبنانيين وخمسة مدنيين فلسطينيين لكي يتوصل إلى قتل فدائي فلسطيني واحد. وهكذا كان عليه أن يقتل مئة ألف من سكان بيروت الغربية كي يقضي على الستة آلاف مقاتل فيها.

إلى الآن، قتل جيش بيغن ٥٦٧٥ مدنياً لبنانياً وفلسطينياً وجرح

ثلاثين ألفاً لكي يقضي على ألف مقاتل.

فهل ينبغي أن نشكر السيد مناحيم بيغن لأنه رسب في امتحان الحساب؟

الخميس ٩ ايلول

الفيلم الأميركي ـ الإسرائيلي الطويل... عرض متواصل بديكور جديد للاستبدال التاريخي ذاته. أوريانا فالاتشي في مقابلة جريئة مع آرييل شارون (نوفيل أوبسرفاتور الفرنسية، عدد ٦ أيلول ١٩٨٢). يعترف لها شارون بأنه تأثر كثيراً عندما شاهد الأميركان يهربون أذلاّء من سايغون، تحملهم الطوافات من فوق سطح السفارة الأميركية، فأراد أن يفرض الذلّ نفسه على أعدائه.

ينتقمون من بيروت على هزيمتهم في فيتنام. فالإسرائيليون قد هزموا هم أيضاً في فيتنام. ونحن في فيتنام كنا منتصرين.

الثلثاء ١٤ ايلول

إذاعة الكتائب تعلن في ختام نشرة الرابعة والربع أن انفجاراً كبيراً وقع في الأشرفية. وتعد بإذاعة التفاصيل لاحقاً... في النشرة التالية، يبدو أن الانفجار وقع في مركز الكتائب في الأشرفية، بينما كان بشير الجميل مجتمعاً إلى كوادر الحزب العسكرية والأمنية والحزبية لمنطقة بيروت لشرح ضرورة التقيّد بالخطة الأمنية القاضية بتسلم الجيش لمواقعه في بيروت الشرقية. إذاعة القوات اللبنانية تبشر بأن الرئيس المنتخب خرج من بين الأنقاض سالماً وأشرف بنفسه

على أعمال الإنقاذ، بل هو قد أدلى بتصريح مقتضب.

غموض وارتباك خلال ساعات. مصادر تؤكد نجاة قائد «القوات اللبنانية». ولكن، إذا كان حياً، فلماذا لا يدلي بتصريح؟ لماذا لا يظهر على التلفزيون؟ البعض يعزو احتجابه لضرورات أمنية. والبعض الآخر لكونه يتفقد الجرحى في المستشفيات. فيما رواية ترجح أنه لا يزال تحت الأنقاض. أخبار إذاعة الكتائب في السابعة والربع لا تأتي على ذكر بشير، والمذيع يبدو من صوته أنه يبكي. بعدها، ينقطع بث الإذاعة.

أخبار التلفزيون تزيد الطين بلة: «ننتظر أخباراً مطمئنة»، يقول المذيع. والباقي أخبار منقولة من إذاعة «القوات اللبنانية». أخبار عن طوافة ساهمت في أعمال الإنقاذ تطلق التكهن بأن بشير الجميّل جرح وقد جرى نقله إلى خارج البلاد.

محطتا التلفزيون تتوقفان فجأة عن البث في العاشرة والنصف، أي قبل موعد اختتام البرامج بساعة واحدة على الأقل. ترجيح الأسوأ وحوالى الحادية عشر والنصف، رئيس الحكومة يؤكد مقتل الرئيس المنتخب.

في الحلقة المجتمعة عند الصديق النائب توجّس وقلق حد الوجوم. كان بشير الجميّل يجسّد كل ما لا نتمناه لهذا البلد، لكن الاغتيال إيذان بأفدح الكوارث.

خاطرة في طريق العودة إلى البيت: اليوم عيد الصليب. لبنان على الصليب مجدداً. وغداً يجب أن تمطر شأنها شأن كل ثاني يوم العيد.

الأربعاء ١٥ أيلول

اليوم لم يحمل المطر المتوقع بعد كل عيد صليب. حتى الطبيعة حبست خيراتها.

اليوم بدأ الاجتياح الإسرائيلي لبيروت على خمسة محاور: طريق المطار، مستديرة السفارة الكويتية، الأوزاعي، المتحف ــ البربير، المرفأ ــ النورماندي. غارات وهمية لطائرات العدو قصد التخويف. ملالات الدعاية التابعة للجيش الإسرائيلي تدعو المواطنين إلى عدم المقاومة وإلقاء السلاح، لأن جيش الدفاع الإسرائيلي يريد حماية «المسلمين».

بيغن يعلن: ندخل بيروت لضبط الأمن ومنع انفلاته بعد اغتيال بشير الجميل. سفير إسرائيل في نيويورك موشي أرينز: «لا يمكن تصوّر لبنان بعد الآن من دون الجيش الإسرائيلي». وقوات الاحتلال تفرض حظر التجول في الجبل والجنوب. أول تعليق أميركي: العملية الإسرائيلية في بيروت عملية محدودة لأن اغتيال بشير الجميل خلق وضعاً جديداً. وهدفنا لا يزال بناء الحكومة المركزية.

ومن المركزية ما قتل!

الحركة الوطنية تدعو المقاتلين الوطنيين اللبنانيين إلى القيام بواجبهم في مقاومة تقدم العدو الصهيوني وحماية بيروت الصامدة. مجموعات صغيرة من المقاتلين، بالثياب المدنية والأسلحة الفردية، تتجمع بسرعة وتتصدى لتقدم الدبابات. معارك ضارية في الجناح ومحيط الجامعة العربية والغبيري ومستديرة الكولا.

الخميس ١٦ ايلول

مجموعات متفرقة من المقاتلين تقاوم ما وسعها. ولكن ماذا يستطيع هؤلاء الأبطال حيال تدفق الألوف من جنود العدو على مدار ٣٦٠ درجة؟ يتفادون الاشتباك. وعندما يصطدمون بعقدة مقاومة، يناورون ويقومون بحركات التفاف واسعة. يسقطون المناطق بالجملة. ويتركون مهمة تطهيرها لما بعد. رغم ذلك كله، معارك ضارية في الغبيري، المنارة، برج المر، شارع كليمنصو، مار الياس، الأوزاعي، سوق الخضرة، الجامعة العربية ومحلة أبي شاكر.

المتحدث باسم قوات الاحتلال يجهد من أجل تصغير أعمال المقاومة: «قواتنا واجهت بعض المقاومة». مع أنه جرى تدمير ثلاث دبابات في سوق الخضرة وثلاث أخريات في كليمنصو. ومجموع أرقام الآليات المعطوبة هذا اليوم يصل إلى ٤٦ آلية.

بيان مشترك للحزب الشيوعي اللبناني ومنظمة العمل الشيوعي في لبنان بتوقيع الأمينين العامين جورج حاوي ومحسن إبراهيم، يدين تنكّر إسرائيل لكل الاتفاقات التي وقعتها بشأن خروج المقاتلين الفلسطينيين، يفضح الرعاية الأميركية مؤكداً القيادة الأميركية الفعلية للعدوان.

«إلى السلاح! إن شرف القتال ضد المحتل هو الشرف الحقيقي الذي يفاخر به كل وطني. وواجب الدفاع عن الوطن أقدس واجب».

ويختتم البيان بالدعوة إلى تأليف جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية لمقاتلة العدو إلى حين إخراجه من كل الأرض اللبنانية.

المكتب السياسي لحزب الكتائب يرشح أمين الجميل لرئاسة الجمهورية. كميل شمعون يتحفّظ ويطلب التداول مع قيادة حزبه.

الجمعة ١٧ أيلول

بيروت تحت الاحتلال.

الاجتياح يصل إلى البسطة، الزيدانية، عائشة بكّار، ويحاصر كورنيش المزرعة، دمار كبير في هذه المناطق، لكن المقاومة مستمرة رغم أن العدو صار في قلب المدينة، معارك بطولية في مار إلياس، برج أبي حيدر والنويري.

بدأت المداهمات. العدو يحاول فرض حظر التجول دون جدوى. الشوارع تغصّ بالناس. إنزال الأهالي إلى الشاطىء في عين المريسة واعتقال العديد من الشباب. العدو يقتحم حسينية الغبيري، ينهب مركز الأبحاث الفلسطيني، ويداهم فندق الكومودور (مركز المراسلين والصحافيين الأجانب) ويحتجز صاحبه، ووكالة الجماهيرية للأنباء، ومكاتب «الكفاح العربي» و«بيروت المساء» (سرقوا أرشيف الصور) و«الهدف» ومركز المرابطون وإذاعة «صوت لبنان العربي» ومكتب «م.ت.ف.» في كورنيش المزرعة ومراكز الأحزاب وبيوت بعض القادة الوطنيين.

هيوز باسم وزارة الخارجية الأميركية: إن إسرائيل قد أبلغت الولايات المتحدة سلفاً بأنها ستقوم بـ «عملية محدودة» داخل بيروت.

وليد جنبلاط، من الخارج، يدعو إلى مقاومة الاحتلال الإسرائيلي

ويهيب برفاقه في الحركة الوطنية أن يستمروا في اعتماد خط الكفاح المسلح. محسن إبراهيم في تصريحه اليومي: سقطت الضمانات الخارجية لوحدة لبنان وسيادته وهويته العربية... والرهان على وحدة اللبنانيين والمهمة المركزية مقاومة الاحتلال الإسرائيلي. مطلوب رئيس للجمهورية يلتزم ببرنامج واضح لإجلاء الاحتلال وإنقاذ الوطن.

السبت ١٨ أيلول

يومي الخميس والجمعة، ارتكبت الميليشيات مجزرة مروّعة في مخيمي صبرا وشاتيلا. أول التقديرات لمراسل وكالة الصحافة الفرنسية تتحدث عن ٣٠٠ قتيل أكثرهم من النساء والشيوخ والأطفال، مصادر أخرى تتحدث عن ٥٠٠ قتيل وعن ١٤٠٠ ضحية، بين الضحايا مئة قتيل لبناني، ٤٦ منهم من أسرة واحدة ـ آل المقداد.

ليل الخميس، اقتحم مسلّحون مستشفى عكا وقتلوا عشرة أطفال وثلاثة أطباء وممرضة (بعد اغتصابها) وأربعة عمال مصريين. عناصر من الميليشيات، يقول شهود عيان، كانوا يرتدون بزات كاكية كالتي يستخدمها الجيش الإسرائيلي، هاجمت المخيمين ليلاً وراحت تنسف المنازل على سكانها. جمعت الشباب ورمتهم بالرصاص. وطاردوا من حاول النجاة في الأزقة والدهاليز والملاجىء. وأحرقوا البيوت وجرفوها فوق ضحاياها. وفخّخوا الجثث لزيادة عدد الإصابات. آثار طعنات سكاكين على جثث بعض الأطفال. والمجرمون استخدموا الفؤوس. بقروا البطون ومثّلوا بالجثث بعد القتل. جمعوا الرجال في المدينة الرياضية. ونقلوا المئات إلى جهات مجهولة.

بعض الناجين من المجزرة هرعوا إلى الجنود الإسرائيليين طالبين النجدة. أجابهم الضابط: نحن لا نتدخل في الشؤون الداخلية اللبنانية! الإذاعة الإسرائيلية اتهمت «القوات اللبنانية» وحزب الكتائب بالمجزرة وأعلنت أنها لم تدر بها. وأنها عملت على إخراج المسلحين من المخيم واضطرت إلى إطلاق النار على البعض منهم. وسعد الحداد ينفي أي مسؤولية لرجاله.

شارون عن اغتيال بشير: «لقد قُتل لأنه كان يريد السلام مع إسرائيل. إن عملية الاغتيال هذه تظهر أن النظرية القائلة أن إسرائيل يجب أن تكتفي بترتيبات أمنية مع لبنان بدل توقيع معاهدة سلام معه هي نظرية خاطئة» ويستدرك «أن العلاقات بين البلدين لا يمكن أن تعتمد على حياة شخص واحد».

* * *

ـــ إنهم يقتربون. صاروا في الشارع الموازي.

ـــ يجب أن نتحرك.

وهو يتردد في التخلص من مسدسه الأسود الصغير. ولا يزال يتلف بعض الأوراق والوثائق.

ويفترق الرفيقان. كل يذهب في اتجاه. وقد يكون هذا الوداع الأخير بينهما. مشياً على الأقدام في قيظ الظهيرة نحو المخبأ الجديد. بيروت خاوية وصامتة.

في الطريق، وجهاً لوجه أمام دورية إسرائيلية تعبر الشارع في

وضعية قتالية، تجرّ وراءها مدفعاً مضاداً للطائرات صادرته من أحد المستودعات.

مشهد عادي. مثل مشهد أي رتل لجنود العدو الإسرائيلي في قلب أية عاصمة عربية احتلوها لتوّهم.

بيروت. يوم السبت في ١٨ أيلول ١٩٨٢.

الأحد ١٩ ايلول

شارون: إن مجزرة ١٦ ـــ ١٧ أيلول تؤكد ضرورة بقاء الجيش الإسرائيلي في بيروت. ولولا وجوده لكانت المجزرة أعمّ وأوسع.

يقتلك ويريد عرفانك بالجميل لأن المجزرة لم تكن أشمل!

وهذا الذئب الإسرائيلي يرضع بنَهَم من جراح الحرب الأهلية.

وافقوا على أوراق عمل فيليب حبيب التي تنص صراحة على حماية أمن بيروت الغربية ثم لعقوا تواقيعهم. ضغطوا من أجل الخروج السريع للمتعددة الجنسيات. انتظروا إلى حين دخول الجيش وانكفاء المسلحين الوطنيين اللبنانيين، ليقتحموا بيروت. وهكذا نجح بيغن ـــ شارون في تصوير المشهد الظفراوي الأخير في الفيلم الأميركي ـــ الإسرائيلي الطويل: احتلوا مركز «قيادة أركان المخرّبين» في صبرا والفاكهاني ورفعوا عليه العَلَم الإسرائيلي. وهذا يسمّى انتصاراً!

نظموا هذه «الدير ياسين» الموسعة لتهجير أكبر عدد ممكن من

الفلسطينيين. بواسطة المجزرة، جَدّدوا الإمساك بمرتكبيها وصرفوا الأنظار عن مسؤوليتهم في اغتيال الرئيس المنتخب. والآن يريدون استمالة ضحايا المجزرة بحجة حماية المسلمين من مجازر لاحقة.

الغدر بالمطلق. والجريمة كاملة!

ونحن علينا أن نحلّ هذا اللغز: أيهما الأكثر إجراماً، المجرم الذي يشلّ مقاومتك، أم المجرم الذي يغرس السكين في بطنك؟ سحقاً لك، يا زمن أفعل التفضيل!

* * *

إنهم يقتلون الجياد.. أيضاً!

تحدّق طويلاً في هذه الصورة التي تنشرها «النهار» في عدد اليوم لحصانين نافقين إلى جانب جثث القتلى في المخيم.

مجدداً، بيروت تتشبّه بجدارية غرنيكا لبيكاسو. كيف لا، وغرنيكا تروي مأساة إسبانيا ــ الحرب الأهلية وقد غزاها الاحتلال النازي؟ غرنيكا ــ ١٩٣٧ حقل اختبار حيّ لأحدث المبتكرات من أسلحة القتل والدمار النازية عشية الحرب العالمية الثانية. بيروت ــ ١٩٨٢ حقل اختبار حيّ لأحدث مبتكرات ترسانة القتل والدمار الأميركية زمن الحروب الإلكترونية والنووية.

النازية والنازية الجديدة.

لقد اختار بابلو بيكاسو الحصان ليرمز إلى الشعب الإسباني ومأساته. رسمه لحظة الكبوة الأخيرة ــ مشيحاً برأسه إلى أعلى،

ولسانه كرأس خنجر يخترق الحنجرة ليطلق صهيله الأخير قبل أن يتهاوى ساقطاً.

كم من اللوعة يثيرها الحصان القتيل. يثير لوعة قد لا يثيرها مشهد أي حيوان آخر نافق. فالحصان هو الطبيعة الحرة وهو التمرد وصهوة والجمال والعنفوان في آن.

قد تألف سائر الحيوانات مفترشة الأرض، إلّا الحصان. لست تتصوره إلّا منتصباً، مرفوع الرأس، عاصياً، طليقاً... الحصان على الأرض هو ذروة الانهيار.

كأنما الحصان النافق يتأنسن. والذين قتلوا هذين الحصانين في صبرا أرادوا أن يقولوا شيئاً عن مجزرتهم. أرادوا أن يقولوا إنهم لا يكتفون بقتل البشر. بل هم يريدون إفناء كل ما يدبّ على الأرض في المخيم.

أرادوا أن يقولوا إنهم لا يغتالون عدداً من الناس، بل يريدون قتل الحياة ذاتها.

حصان غرنيكا وحصان صبرا توأمان يولدان من رحم مجزرة واحدة.

الاثنين ٢٠ أيلول

شائعات تقول بأن قوات سعد الحداد عادت إلى العاصمة، تطلق موجة جديدة من الذعر والهجرة. سعد الحداد يكرّر التأكيد أن قواته لم تجتز نهر الأولي، لكنه يعترف بأن بعض عناصره كان

يقضي إجازته في بيروت خلال الأيام الأخيرة.

رفع ألف جثة من بين الأنقاض. و«جبهة تحرير لبنان من الغرباء» تعلن مسؤوليتها عن المجزرة.

مجلس الأمن يدين المجزرة بالإجماع. قرار بزيادة عدد المراقبين الدوليين في بيروت. الجيش يتخذ مواقعه في صبرا وشاتيلا وطريق الجديدة. ينفي دخول المسلحين إلى المخيمات ويباشر عملية مصادرة الأسلحة.

تظاهرات صاخبة في القدس وتل أبيب والناقورة المحتلة تحت شعارات: بيغن مجرم. شمعون بيريز يدعو لاستخلاص الدروس من احتلال بيروت وتقديم استقالته، لكنه يبرىء الجيش الإسرائيلي من المجزرة. مجلس الوزراء الإسرائيلي يوافق على المراقبين الدوليين.

إضراب عام في الضفة الغربية وغزة. وعرب الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨ يدعون إلى إضراب عام بعد غد.

العرب يستنكرون!! ربع ساعة تعطيل عن العمل في كل من عمّان ودمشق. بورقيبة يعلن الحداد في تونس لثلاثة أيام. وأمير الكويت يلغي الاحتفالات بعيد الأضحى.

مجلس الوزراء يقرّر استدعاء القوات المتعددة الجنسيات لمساعدة الجيش اللبناني على حماية بيروت. شيسون يعلن استعداد بلاده لإرسال قوات. وبعد اجتماع لمجلس الأمن القومي الأميركي، ريغان يذيع بياناً هاماً يقال أنه سوف يتضمن الموافقة على المشاركة الأميركية في المتعددة الجنسيات.

الخامسة والنصف مساءً. كميل شمعون يعلن عزوفه عن خوض معركة الرئاسة ويغتنمها مناسبة للمزايدة: إنه متخوّف من صلح منفرد مع إسرائيل يسلخ لبنان عن الجامعة العربية ومحيطه العربي. ويشير لأول مرة إلى الجيوش الأجنبية وانتهاكاتها ومصادراتها للحريات العامة.

أمين الجميل يعلن أن الحكم سيكون شورى. ويؤكد حرصه على لبنان. والكتل النيابية توالي تأييده.

الملك حسين اختار المناسبة بذكاء. دعا اليوم إلى قيام اتحاد فيدرالي بين الكيان الفلسطيني (في الضفة والقطاع) والأردن. بدأ جني ثمار حرب لبنان.

الثلثاء ٣١ أيلول

اليوم العاشر بعد المئة.

فوز أمين الجميل برئاسة الجمهورية بـ ٧٧ صوتاً و٣ أوراق بيضاء.

مجلس الوزراء الإسرائيلي يرفض تأليف لجنة رسمية للتحقيق في مجزرة بيروت، لكنه يوافق على متعددة الجنسيات والانسحاب من بيروت.

انسحابات للجيش الإسرائيلي من بعض مناطق بيروت والجيش يتسلمها. ومصادرة الأسلحة متواصلة.

الوزّان يعلن غداً يوم حداد رسمي على ضحايا المجزرة ووقف

الاحتفالات بعيد الأضحى.

لا تبعيض بعد الآن!

«أقوال وافتراءات البعض»، مواقف التخاذل لدى «بعض الأنظمة»، «المجزرة التي ارتكبها البعض»، « ...لولا خيانة البعض»، والبعض.. والبعض.. والبعض..

لا تبعيض بعد الآن

بعد حزيران/ يونيو ١٩٨٢، نسمّي الأشياء بأسمائها، نضع النقاط على الحروف، أو نخرس على الأقل.

تعيين المسؤوليات. النقد والمحاسبة. والكل مسؤول عما جرى، الكل، لا البعض. نحاسب الكل، حسب دوره وموقعه وادعاءاته. أو فلا يكون الحساب. شبعنا جدالاً حول تسمية الخصوم المحليين «الرجعيين» أو مجرد «العملاء»، شبعنا تنزيهاً لأنظمة تسمى «وطنية» مجازاً و«تقدمية» تجاوزاً. وفوق هذا وذاك، شبعنا الادعاء بأن كل نقد لمعسكر الأصدقاء يصب الماء في طاحونة الإمبريالية. والإمبريالية تطحننا أحياناً بأحجار رَحَى من أخطاء الأصدقاء!

التحريض بدلاً من التبعيض. والتحديد.

يسقط هذا المسخ الذي يسمونه «البعض». «البعض» إعجام.

تسقط «البعض»، أتفه ما أنتجته لغة الضاد زمن القمع الذاتي والانحطاط.

البعض: بعوضة، ضبع، بضاعة.

بدلاً منها: غضب، بضع (مبضع) وبُغض، إذا اقتضى الأمر!
ولكن.. سحقاً لك، أيتها «البعض» كم سنلجأ إليك...

ضد التدجين الإعلامي

كم من مرة فتحت الجريدة وطالعتك صور الجثث والأشلاء؟ كم من مرة، خلال هذه السنوات السبع الأخيرة؟ جثث مقطعة. جثث جرى «التمثيل» بها. جثث ممزّقة. جثث مهترئة. جثث عادية. أشلاء ولا جثث.

كم من مرة؟

وأمر واحد يسيطر عليك: كيف لا تتطبّع على هذه المشاهد. كيف لا تتدجّن بسبب التكرار. كيف لا تتعوّد، بعد أن تطغى حادثة قصف على حادثة تفخيخ سيارة، ومقتلة على مذبحة، ومجزرة أكبر على مجزرة أصغر.

طوال أيام والجرائد تنشر صفحات وصفحات من مشاهد مجزرة صبرا وشاتيلا. وتخاف التبلّد مجدداً، يجب أن لا تضعف الذاكرة أو تموت، يجب أن يبقى باستطاعتك أن تعطي ردة الفعل الإنسانية، أي الغريزية، البسيطة، العفوية، العادية، أن تتألم، أن تتوجع، أن تتقزّز نفسك، أن تشيح ببصرك اشمئزازاً، أن تغضب. أن تحنق. أن تثور، أن تمتلك مشاعر لا مفردات لها في اللغة والقواميس. أن تقول: لا! أن تقول: كفى! أن تصرخ. أن تشتم، أن تكفر.

يجب أن تظل تمتلك القدرة على رد فعل مثل رد فعل أُم جنوبية أو بقاعية أمام كل هذا القتل. أن تقوى على قول: يا حزني. ويا شحاري، ويا قبّاري. ويا حسرتي عليه، طفل. واللّه يساعد أهله. ومسكينة هذه المرا. ويا ضيعان شبابه. وما احترموا شيبته..

عند ذلك فقط تتأكد أن الصحافة وسائر وسائط الإعلام السمعية والبصرية لم تفلح في تدجينك وسلبك ذاكرتك والمشاعر الأُولية. وتدرك أنك ما زلت تقارب الآدمية وسط هذه الهمجية.

الأربعاء ٢٢ أيلول

اليوم الأخير في ولاية سركيس.

بدأ عهده في ظل القوات السورية وقوات الردع العربية وأنهاه والقوات الإسرائيلية في قلب بيروت. في مطلع عهده اغتيل كمال جنبلاط وفي آخره بشير الجميّل.

ماذا قدّم هذا التكنقراطي الكئيب للبنان؟ أسرّ منذ مطلع عهده أن لا حلّ للأزمة اللبنانية، وصمّم على أن يساعد «المسيحيين» على حماية أنفسهم. والحماية، في عرفه، كانت في مساعدة حزب الكتائب على بناء دويلته وترجيح موازين القوى في البلد تدريجياً لصالحه. في عهده، احتلت إسرائيل الشريط الحدودي، وبنت دويلة سعد الحداد وصارت جزءاً من المعادلة الداخلية اللبنانية. قضى في المهد على عشرات المحاولات للحلّ، داخلية وعربية، ولما أصدر أخيراً مبادرته الوفاقية الشهيرة، ما لبث أن تراجع عنها أمام «الفيتو» الكتائبي مع أن إجماعاً لبنانياً تكوَّن حولها.

ما تحمس لشيء إلّا لإنزال الجيش وإلى بيروت خاصة. ابن المدرسة الشهابية، عمل على تفكيك كل المؤسسات الشهابية. أعاد بناء الاقتصاد على قاعدة تلزيمه للمصارف، وباشر تسليم مواقع القطاع العام للقطاع الخاص. أطلق شعاره الشهير «الأمن قبل الرغيف». فلا رغيفاً أطعمنا ولا أمناً أذاقنا!

* * *

سرقات موصوفة لجنود الإحتلال. واهتمام خاص بالأدوات الإلكترونيَة. وحيث مرَّ أبناء «واحة الديموقراطية» في هذا الشرق، تركوا آثار «الحضارة الصهيونية». برازُهم في كل مكان: في الأديرة كما في المكتبات. في أدراج المكاتب وعلى الأرض وفوق الجدران..

الخميس ٢٣ أيلول

جلسة القَسم في الفياضية نجمها فيليب حبيب. في خطاب القسم، الرئيس الجديد يعاهد على «أن يكون لبنان فوق شخص الرئيس والرئيس فوق الصراعات والأحزاب والطوائف». وأن يكون جيش الدولة هو الجيش الحقيقي ولا جيش سواه. وأعلن أن همّه الأول هو «وقف دورة العنف»، وبناء الدولة المستقلة القوية السيدة التي تصون الحريات وتعمل على جلاء جميع الجيوش الأجنبية عن تراب الوطن، فيكون جيشها «من كل لبنان ولكل لبنان كي يتواجد على أرض كل لبنان». في القضاء: «سيف العدالة فوق كل الرؤوس». وفي الإدارة، لا مكان إلّا «للكفاية والجدارة والأهلية».

لم يشر صراحة إلى الاحتلال الإسرائيلي. لكنه تحدث بإسهاب

عن كل المناطق اللبنانية واحدة واحدة، مؤكداً أن «لبنان الـ (١٠٤٥٢) كيلومتراً مربعاً يأبى الانسلاخ كما يرفض الارتهان». وأكد أن الوحدة الوطنية أساس الوطن. وحذر من أن الأولوية للبنان «ولن نقبل بأي ازدواجية في الولاء».

أعلن العزم على توطيد علاقات الصداقة مع العالم بأسره، «بدءاً بالأقربين من إخواننا العرب». وقال إن انتماء لبنان إلى محيطه العربي ليس شرطاً علينا، بل خيار موحد يحدده واقعه ومصالحه ودوره الطليعي وعضويته في جامعة الدول العربية.

* * *

مساء على الشرفة. بيروت الغربية مظلمة. وفي البعيد تتلألأ أنوار بيروت الأخرى. سكون غريب تمزقه فجأة طلقات الرشاشات وانفجار القذائف.

ــ عملية جديدة.

ويبدأ تبادل إطلاق النار. فيما قنابل التنوير تتساقط مثل أقمار برتقالية صغيرة.

ــ طريق الجديدة وربما أقرب.

ويطول الاشتباك. وتودّ لو أنه لا ينتهي. تتشبث بكل برهة منه. بكل صوت. مدينة جريحة، منهكة، أوكلت نفراً قليلاً من أبنائها أن يظلوا يقولون لا للاحتلال. مثلومة الشرف والكبرياء وتكظم غيظها لينفجر هكذا من فوهات رشاشات قليلة وقذائف ب ٧.

تقاوم بصَمت وترفض رفع الرايات البيضاء. وتخفي سلاحها ورجالها ما استطاعت. لن ترتضي الاحتلال ولن تألفه.

وهذه الرصاصات تندفع مثل قذفات المني الأخيرة، رائعة.. و.. أخيرة.

الجمعة ٢٤ ايلول

عملية ليلة الأمس: هجوم بالرشاشات وقواذف الـ ب ٧ على مركز للعدو في بناية «م.ت.ف.» على كورنيش المزرعة. تدمير آلية وقتل عدد من الضباط والجنود. مصادر العدو نفسها تعترف بثلاث إصابات.

وصلت طلائع القوة المتعددة الجنسيات. مهمتها يفترض أن تشمل «بيروت الكبرى» بشطريها. وقيادتها بإشراف رئيس الجمهورية شخصياً.

مسلّحان يختطفان الرفيق عدنان الحلواني من بيته في رأس النبع ويقتادانه إلى جهة مجهولة (أو معروفة جداً!).

أكان على عدنان أن يكون الأول بيننا الذي يدفع الثمن؟

وتكاد أن تتساءل: وما ذنبه؟ مع أنك تدري أي ذنب عظيم اقترفه عدنان. خلال الحصار، ساهم الألوف من المناضلين والمتطوعين اللبنانيين والفلسطينيين في ذلك الجهد الأسطوري الذي هو تموين بيروت وتنظيم صمودها الاجتماعي والمعاشي. ولكنك لو سألت هؤلاء عن شخص يمثلهم، لما ترددوا لحظة في أن يقولوا بصوت

واحد: عدنان حلواني.

يعاقبونك يا عدنان، يا ابن بيروت، لأنك أديت دورك بجدارة في تنظيم صمود بيروت. فكنت مؤسسة في رجل. فما أعظم الذنب الذي اقترفته.

ولكن، إليك هذه الرواية: اليوم ظهراً، واحد من رفاقك، يا عدنان، وسط زحمة شارع الحمرا، شهر سلاحه وتقدم بثبات نحو رصيف مطعم «الومبي» وأفرغ ما لديه من رصاص وسط مجموعة من جنود الاحتلال. فقتل ضابطاً وجرح ثلاثة جنود. وانسحب بفاعلية وسرعة.

السبت ٢٥ أيلول

مقتل وجرح عدد كبير من جنود العدو وتدمير ملالتين في ثلاث عمليات لجبهة المقاومة الوطنية اللبنانية في بيروت: هجوم على مركز قيادة لقوات الاحتلال في سينما كونكورد، اغتيال ضابط في عائشة بكار، وانفجار لغم في ملالة بالجناح.

إسرائيل ترفض الانسحاب قبل نهاية الأسبوع القادم. الفرنسيون يرفضون الانتشار. والإيطاليون يعودون إلى لارنكا. دولة الاحتلال تطالب بلجنة تنسيق بين جيش الاحتلال والجيش اللبناني، وبإبقاء قوات لها في المطار والمرفأ وبالحق في تسيير دوريات في بيروت الغربية للبحث عن الأسلحة والمسلحين. وتنفي أن تكون الإدارة الأميركية قد وجّهت لها إنذاراً للانسحاب من بيروت.

صحافي بريطاني يتهم إيلي حبيقة بأنه كان على رأس المجموعة

الكتائبية في مخيمي صبرا وشاتيلا. نفي جديد من «القوات اللبنانية».

تظاهرات ضخمة في تل أبيب ضد المجزرة. ٤٠٠ ألف بدعوة من حزب العمل يطالبون باستقالة بيغن وشارون والانسحاب من بيروت. وتظاهرة لحزب «راكاح» من ثمانية آلاف أكثرهم من العرب.

الأحد ٢٦ أيلول

إسرائيل تمدد مهلة الجلاء عن بيروت إلى الأربعاء. لكنها تنسحب من أحياء جديدة من بيروت الغربية ومن بئر حسن والأوزاعي. الأميركيون ما عادوا يشترطون الانسحاب الإسرائيلي الكامل من أجل مباشرة انتشار القوة المتعددة الجنسيات. وصل الإيطاليون. وحديث عن انسحاب إسرائيلي من الشرقية أيضاً.

المريب شارون يقول: خذوني. ضجة كبيرة يثيرها تصريح وزير الدفاع الذي يعترف أخيراً بأن دخول بيروت لفرض الأمن بعد اغتيال بشير الجميّل كان مجرد ذريعة. أما السبب الفعلي فهو التخلص من المقاتلين الفلسطينيين. صحيفة «هآرتس» تصف مجزرة بيروت بأنها «واترغيت إسرائيلية». عدد الوزراء الذين باتوا يطالبون بتأليف لجنة تحقيق في المجزرة ارتفع إلى أربعة. وحديث عن شارون كبشاً للمحرقة أو عن اضطرار بيغن لمواجهة استقالة حكومته.

البحث مستمر في صبرا وشاتيلا عن المقابر الجماعية. والمدعي العام

التمييزي كميل جعجع يعلن أن عدد الجثث المنتشلة إلى الآن بلغ ٦٠٠ جثة.

* * *

قصة يد. قصة يدَين.

يروي رئيس الوزراء اللبناني شفيق الوزان أن فيليب حبيب، لما عاد بعد المجزرة، كان مخجولاً منه لأن الوزان كان متشككاً، خلال المفاوضات، من نوايا إسرائيل بعد انسحاب المقاتلين الفلسطينيين. وقتها وضع حبيب يده على صدره وقال للوزان: «أنا موجود. وأنا أضمن الاتفاق».

وكان الاجتياح. وكانت المجزرة. وعاد فيليب حبيب وقال لرئيس الوزراء: «هل تريد أن تضربني؟». ثم اعترف له بأن الولايات المتحدة الأميركية قد فشلت في تنفيذ تعهداتها لجهة ضبط إسرائيل ومنعها من اقتحام المنطقة الغربية من بيروت.

والآن ماذا؟

يستطرد رئيس وزراء لبنان في روايته ـ التي نشرتها الصحف اليوم ـ فيقول: «وضع حبيب يديه الاثنين هذه المرة على صدره مؤكداً، ثانية، وجوده شخصياً لضمان التعهدات الأميركية»!!

صدّق أو لا تصدق.

والكلام موجّه للقارىء. أما رئيس الوزراء فقد صدّق.

الاثنين ٢٧ أيلول

استكمال انسحاب قوات الاحتلال من العاصمة. إلّا أنها لا تزال تستخدم المطار ليلاً. وإذاعتها تعلن بقاء مندوب لوزارة الخارجية الإسرائيلية ووحدة للاتصالات الخارجية ووفد إعلامي في بيروت الشرقية، بعدما تقرر تأجيل الانسحاب منها إلى وقت لاحق.

روبرت فيسك يكتب في «التايمز» اللندنية:

«لعل الإسرائيليين غادروا القطاع الإسلامي (كذا) من المدينة في الوقت المناسب. فمع حلول ليل السبت، كانت عمليات الاغتيال ضد أفراد القوات الإسرائيلية في بيروت الغربية تتوالى بمعدل واحدة كل خمس ساعات. وكان الجنود الإسرائيليون قد بدأوا يتورطون في حرب عصابات ضدهم».

و«النهار» تسجل في «أسرار الآلهة» أن عمليات جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية قد عجّلت في اتخاذ العدو قراره بالانسحاب.

والمهم أن بيروت استقبلتهم بالقتال وأخرجتهم بالقتال.

الثلثاء ٢٨ أيلول

وصلت قوات المارينز وانتشرت في المطار ومحيط القصر الجمهوري. وريغان يعلن أن المارينز باقون في لبنان إلى حين خروج كل القوات الأجنبية. ويبرىء الولايات المتحدة من المسؤولية عن مجزرة المخيمات: «من كان يستطيع تصور اغتيال الرئيس المنتخب الذي أدى إلى العنف الآخر؟».

الحكومة الإسرائيلية ترضخ للمطالبة بتأليف لجنة تحقيق بالمجزرة.

«هآرتس»: كانت المذبحة تستهدف إرهاب الفلسطينيين وحملهم على الفرار من لبنان. وهذا يلتقي مع هدف طويل المدى كان يدرسه الزعماء الكتائبيون لطرد الفلسطينيين من لبنان بدءاً ببيروت. وتستعيد «هآرتس» رواية الـ «بي.بي.سي» البريطانية أن الوحدة التي نفذت مجزرة المخيمين هي الوحدة المكلفة بحماية بشير الجميل التي يقودها إيلي حبيقة. وهو صديق مقرب من الرئيس الراحل ورئيس أجهزة الأمن الكتائبية.

«جيروزاليم بوست»: أمير دروري عرف بالمجزرة مساء الخميس في ١٦ أيلول/ سبتمبر عند اطلاعه على برقية القائد الكتائبي الذي يقول فيها: «الحصيلة حتى الآن إعدام ٣٠٠ مدني ومخرب».

وحدات كتائبية تهاجم مخيم عيد الحلوة وتطلق النار دون تمييز.

حملة اعتقالات واسعة في مخيم برج البراجنة. حديث عن ٥٠٠ معتقل أعيد منهم ستة فقط.

* * *

الصحافة تنقل خبر اغتيال العقيد سعد صايل (أبو الوليد) في كمين نصب له يوم أمس على طريق بعلبك: ضابط وجنتلمان قاد جيشاً من «النوَر» ــ حسب تعبيره ــ في أطول حرب عربية ضد إسرائيل.

من سواه من الضباط العرب يستطيع أن يدعي مثل هذا الشرف؟

يكفيه مجداً.

المطالعة فعل مقاومة

لبنان الرائع والحزين

بانيات إستراتي روائي روماني لُقب بـ«مكسيم غوركي بلاد البلقان». في روايته «كيرا كيرالينا» هذه الشهادة عن لبنان:

«آه. يا جبل لبنان الرائع والحزين! يكفي أن أستذكر إقامتي في ربوعك سنة كاملة لينقبض قلبي ويدمى. غزير! غزير!وأنتِ، يا دلبتا! وأنتَ، يا جبل حرمون! وأنتِ، يا معاملتين! ويا أشجار الأرز ذات الأذرع الأخوية الطويلة التي تبدو كأنها تريد أن تعانق الكون كله! وأنتِ، يا أشجار الرمان، تكتفين بثلاث حفنات من الطحلب متجمعة في شرخ صخر، لتقدمي للمسافر التائه ثمارك الماويّة. وأيها البحر الأبيض المتوسط، أنتَ الذي يستسلم بدلال لمداعبات ربك الحارق، ويفرش مداه الطاهر أمام النوافذ المتواضعة للبيوت اللبنانية المتدرّجة نحو المطلق! إليكم جميعاً أقول الوداع! لن أراكم بعد الآن. لكن عينيّ سوف تحتفظان إلى الأبد، بنوركم العذب الفريد! هذا النور مدفون في ذاكرتي».

عجبي!

الخليل بن أحمد الفراهيدي يدلي برأيه في الوحدة الوطنية اللبنانية:

«هذا من عجائب الكلام ووسع اللغة العربية أن يكون الشعب تفرّقاً، ويكون اجتماعاً...».

(«كتاب العين»، ص ٢٦٢)

١٩٨٣/١٩٢٨

الرحالة البريطانية فريا ستارك عن اللبنانيين:

«... لكنه شعب تعس. لا هو عربي ولا هو أوروبي. لا يستطيعون الاستقلال عن أوروبا في وجه مسلمي الداخل. وإذا ما تعلقوا بأوروبا، تجدهم قد تحولوا إلى أداة في يد كل سياسي مقرف. أعتقد أنه لا يوجد شيء يستطيعون السعي إليه مع أي أمل في النجاح».

رسالة من برمانا يوم ١٩٢٨/١/١.

١٩٨٢ هي ١٩٢٨ معكوسة: يجب أن نمنع تحقيق نبوءة فريّا ستارك!

ريتسوس صوتنا

عنّا يتحدث الشاعر اليوناني الكبير:

هذه الأشجار لا ترتوي بأقل من سماء

هذه الأحجار لا ترتوي تحت أقدام الغزاة

وهؤلاء الرجال لا يرتوون إلّا من شمس

وبأقل من عدل لا ترتوي هذه القلوب.

وهذا البلد الذي هو بقساوة الصمت
يضم إلى صدره شاهدات القبور الملتهبة.
يضم — في النور — دواليه وأشجار الزيتون اليتيمة
يكزّ على أسنانه — إنه محروم من الماء —
وليس لديه إلّا النور.

يدهم مجدولة بالبندقية
والبندقية امتداد ليدهم.
على شفاههم يسكن الغضب.
والحزن يلتمع في أعماق عيونهم،
مثل نجمة في قعر وَقْبٍ من الملح.

عندما يرفعون قبضتهم،
تتأكد أن الشمس ستشرق.
عندما يبتسمون،
تتفلّت سنونوة صغيرة من دغل لحاهم.
عندما ينامون
تسقط اثنتا عشرة نجمة من جيوبهم الخاوية.

وعندما يستشهدون

تتسلق الحياة الهضبة مع طبولها والرايات.

* * *

إذ ذاك، بدا لنا أن خسارة لم تقع

أن الموت لم يستطع أن يسلبنا شيئاً.

* * *

لأننا أعطينا كل شيء،

سلّمنا كل شيء، لم يبق لنا شيء.

* * *

ولسنا فقط

ما صرناه

نحن أيضاً ما أعطيناه.

إيلوار حبّنا

منع تجوّل

هــذا الــذي حــصــل

كـانـت البـوابـة محـروسـة

هــذا الــذي حــصــل

كـانـت الـنـاس محـبـوسـة

هـــذا الـــذي حـــصـــل
كانت الطريق مقطوعة

هذا الذي حصل كانت
المديـــنـــة مـــقـــمـــوعـــة

هـــذا الـــذي حـــصـــل
كـانـت المدينة مجوّعة

هـــذا الـــذي حـــصـــل
كنا مجرّدين من الأسلحة

هـــذا الـــذي حـــصـــل
كانت قد حلّت العتمة

هـــذا الـــذي حـــصـــل
لـــقـــد تـــعـــاشـــقـــنـــا!

ييتس سؤالنا

نحن والإيرلنديون أبناء عشيرة واحدة: الحرب الأهلية.

شاعر إيرلندا الكبير وليام باطلرييتس يسأل بعد «انتفاضة عيد الفصح» (١٩١٦) التي أغرقها الجيش البريطاني بالدم:

التضيحات إذا استطالت

قد تحوّل القلب إلى حجر.

آه، أما لهذه التضحيات من نهاية؟

تلك مهمة السماء، مهمتنا نحن

أن نتمتم اسماً بعد اسم

مثلما أمّ تسمّي طفلها

عندما يدبّ النُعاس أخيراً

في أطراف أفلتت من عقالِها.

تراه مجرد الليل الذي يهمي؟..

لا. لا. ليس ليلاً، بل موت..

تراه لم يكن إلّا موتاً بلا جدوى؟

إننا نعرف حلمهم بما فيه الكفاية

لندرك أنهم قد حلموا وماتوا.

وماذا لو أن الإفراط في الحب

أذهلهم(*) حتى الموت؟

ويولد جمالٌ رهيب!...

(*) ﴿يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حِمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب اللّه شديد﴾. (سورة الحج).

كاربانتييه جوابنا

غادرنا الروائي الكوبي الكبير أليغو كاربانتييه وترك لنا وصيته:

«... إن الإنسان ليس يعرف أبداً لماذا يشقى أو يأمل. إنه يتعذّب ويأمل ويعمل لأناس لن يتسنى له أن يعرفهم. أناس سوف يشقون ويأملون ويعملون لحساب سواهم. وهذا السوى لن يبلغ السعادة هو كذلك، لأن الإنسان يسعى دائماً وراء سعادة ليست من قسمته. لكن عظمة الإنسان تكمن تحديداً في رغبته في تغيير العالم وتحمّل الأعباء، في ملكوت السموات، ليس من عظمة يمكن بلوغها، لأن كل شيء هناك تراتب مُقيم. وجود بلا نهاية حيث لا تضحية ولا راحة ولا ملذّات. ولذا، فالإنسان الذي يسحقه الألم والأعباء، جميلاً في بؤسه، قادراً على الحب وسط المآسي، لن يقدَّر له أن يبلغ عظمته، وأسمى قدره، إلّا في هذا الملكوت الأرضي!».

الخميس ٧ تشرين الأول

بيان مشترك للحزب التقدمي الاشتراكي والحزب الشيوعي ومنظمة العمل الشيوعي يدعو إلى وقف أعمال الدهم والاعتقالات. يحتج على اقتصارها على بيروت الغربية وعلى الاعتقال بناء على الانتماء السياسي وعلى الخرق الفاضح لحرمة المنازل والمكاتب ومقار الأحزاب ودور الصحف والمؤسسات الإنسانية. ويدعو البيان أيضاً إلى وقف زج الجيش في هذه الممارسات.

الجمعة ١٥ تشرين الأول

هدم بيوت الفقراء والمهجّرين في الأوزاعي والرمل العالي، والحجة أنها تشكل خطراً على سلامة الطيران المدني.

الفقراء والمهجّرون يتظاهرون في الساحل الجنوبي. إطلاق نار وستة شهداء وأكثر من ٢٥ جريحاً. وحملة مداهمات واعتقالات جديدة.

الصحف التي طاولتها المداهمة: «النداء»، «الكفاح العربي»، «الشراع»، «النهار»، «الأوريان لوجور»، «النهار العربي والدولي»، «صباح الخير»، «بيروت المساء»، «السفير»...

وحده صاحب التصريح اليومي لا يزال يقول: لا. يحتج على ما يجري. ويؤكد أنه يمكنك أن تخدم بلدك أيضاً بأن تكون معارضاً. وكلماته الجريئة تلدغ الذين يريدون التكفير عن ذنوب الحلم بالوطن والتغيير واللحاق بقطار الموالاة.

وما أكثر الذين يريدونه أن يسكت.

الثلثاء ٢ تشرين الثاني

١٥ عملية لجبهة المقاومة الوطنية اللبنانية خلال الأسبوعين الأخيرين. أبرزها إلقاء قنبلة داخل سيارة عسكرية إسرائيلية في الشارع الرئيسي بصيدا ومقتل جنديين وجرح آخر.

الجمعة ٥ تشرين الثاني

جولة في شوارع بيروت.

عادت إليها الجلبة المألوفة مضاعفة. زحمة مارة وسيارات. خرجت السيارات الضخمة من مخابئها. وقريباً ستظهر «طبقة» جديدة من أصحاب سيارات الـ «ب.م.» والمرسيدس. الباعة في كل مكان. المطاعم فتحت أبوابها. والإقبال منقطع النظير. تكاثرت محال العصير و«الفليبرز» ولسبب ما، فهي الأكثر إصراراً على تعليق الأعلام وصور الرؤساء. كبرت أضواء «النيون» والإعلانات. الناس مُصابة بشبق استهلاكي. كثرت الصرعات. والأزياء أكثر تغرّباً ولحاقاً بآخر موضة.

البوتيكات تنمو كالفطر. بوتيكات على عدد ما سقط من شهداء. بوتيك لكل شهيد.

ترى، ما العلاقة بين الموت والتجارة؟

و«أوجيه ــ ليبان» أكبر حزب في بيروت. تزيل الأنقاض وتنظّف البلد.

مبارك الآتي باسم النفط!

وتجدك كمن يخرج من حلم أو كمن اكتشف فجأة أنه في طريقه إلى فقد النظر.

الوطن؟ أين هو؟

وتحاول جاهداً أن تستذكر وجهاً كان أليفاً، في أدق ملامحه. والحال، لست أنت الذي تغشى بصره الغشاوة. هو الوطن أشبه بجريح طُمِر حياً، يئنّ ويحرّك أطرافه ببطء تحت الأنقاض.

وترنو عن بعد إلى هذا الأمل المطمور. هذا الأمل بالوطن وبالتغيير، من سيرفع عنه الأنقاض؟ متى؟

الأحد ١٤ تشرين الثاني

كورنيش المنارة آخر متنفّس لأهالي بيروت. تضيق حدود الوطن، فيتسع البحر.

تمشينا بعض الشيء، كمن يستعيد عادة قديمة، أكلنا الكعك و«الأليطة». جلسنا على الصخور قبالة البحر. ولاعبنا الأطفال...

أية راحة وأي صفاء في هذا الاستلقاء، والتحديق في الأزرق المطلق. لحظات ساكنة حالمة تبدو كدهور. وتبدو بيروت بعيدة خلفك، بحزنها وهمومها. وتكاد أن تنسى كل شيء، حتى حيتان الأسطول السادس الرابضة إلى اليسار، جهة الأوزاعي. لولا أنه، فجأة، وعلى بعد أمتار قليلة، يظهر قارب مطاطي أسود عليه مجموعة من أفراد المارينز الأميركيين. يشيرون إلى المتنزهين، ويتضاحكون، ويلتقطون الصور التذكارية. كأنما نحن هم حيوانات البحر الغريبة..

آه، يا بحر بيروت!



المؤلف

(مع آخرين) **لبنان الاشتراكي، العمل الاشتراكي وتناقضات الوضع اللبناني**، بيروت، دار الطليعة، ١٩٦٩.

قضية لبنان الوطنية والديموقراطية، بيروت، دار الطليعة، ١٩٧٨.

الماركسية وبعض قضايانا العربية، بيروت، منشورات بيروت المساء، ١٩٨٥.

غيرنيكا ـ بيروت. الفن والحياة بين جدارية لبيكاسو وعاصمة عربية في الحرب، بيروت ـ نيقوسيا، كتاب الكرمل ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٧.

(مع عزيز العظمة) **الأعمال المجهولة لأحمد فارس الشدياق**، بيروت ـ لندن، رياض الريّس للكتب والنشر، ١٩٩٥.

صورة الفتى بالأحمر ـ يوميات في السلم والحرب، بيروت، لندن، رياض الريّس للكتب والنشر، ١٩٩٧.

صلات بلا وصل، ميشال شيحا والإيديولوجيا اللبنانية، بيروت، رياض الريّس للكتب والنشر، ١٩٩٩.

وعود عدن ـ رحلات يمنية، بيروت، رياض الريّس للكتب والنشر، ٢٠٠٠.

عكس السير ـ كتابات مختلفة، بيروت، رياض الريّس للكتب والنشر ٢٠٠٢.

ظفار ـ شهادة من زمن الثورة، بيروت، رياض الريّس للكتب والنشر، ٢٠٠٤.

إن كان بدك تعشق، دار الكنوز الأدبية، بيروت ٢٠٠٤.

يا قمر مشغرة، بيروت، رياض الريّس للكتب والنشر، ٢٠٠٤.

فيروز والرحابنة، مسرح الغريب والكنز والأعجوبة، رياض الريّس للكتب والنشر، ٢٠٠٦.

ترجمات:

جون ريد، **عشرة أيام هزت العالم**، بيروت، دار الطليعة، الطبعة الأولى ١٩٦٦، الطبعة الثانية ١٩٦٦، الطبعة الرابعة ١٩٧٩.

شارل بتلهايم وآخرون، **بناء الاشتراكية في الصين**، بيروت، دار الطليعة، ١٩٦٧.

لينين، ستالين، تروتسكي، بريو براجنسكي، غيفارا، مانديل وآخرون، **مرحلة الانتقال إلى الاشتراكية**، بيروت، دار الطليعة، الطبعة الثانية ١٩٧١.

أنطونيو غرامشي، **قضايا المادية التاريخية**، بيروت، دار الطليعة ١٩٧١.

إسحق دويتشر، **ستالين**، بيروت، دار الطليعة، الطبعة الأولى ١٩٦٩، الطبعة الثانية ١٩٧٢.

(مع منير شفيق) أرنستو تشي غيفارا، **يوميات غيفارا في بوليفيا**، بيروت، دار الطليعة، ١٩٧٢.

لينين، **تطوّر الرأسمالية في روسيا**، بيروت، دار الطليعة، ١٩٧٩.

جون برجر، **وجهات في النظر (نقد أدبي وفني)**، دمشق، مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي، ١٩٩٠.

يانيس ريتسوس، **إغريقيات (شعر)**، دمشق، در المدى، ١٩٩٦.

إدوارد سعيد، **خارج المكان**، بيروت، دار الآداب، ٢٠٠٠.

إدوارد سعيد، **الأنسنّية والنقد الديموقراطي**، بيروت، دار الآداب، ٢٠٠٥.

فوّاز طرابلسي

عن أمل لا شفاء منه



«بسبب عدوان صيف ٢٠٠٦، يكتسب نشر هذه اليوميات راهنية خاصة. وما من شك في أن القارئ سوف تغريه المقارنات بين التجربتين. وسوف يلقى في حرب ١٩٨٢ تكراراً لمشاهد ومواقع ومجازر شاهدها أو خبرها أو سمع عنها في صيف ٢٠٠٦. كأن الماضي يستبق الحاضر ويرهص به. لن أدخل في المقارنات. لكل حدث خصوصيته وإن يكن يجمع بينهما تصاعد العدوانية الإسرائيلية وضراوة المقاومة اللبنانية ونجاحها في إحباط أهداف العدوان».

(من مقدمة الكتاب)



